

تبصير الخلق بشرح منظومة منهج الحق

في العقيدة والأخلاق

للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

1307-1376هـ

الشيخ فؤاد بن يوسف أبو سعيد







بسم الله الرحمن الرحيم

تبصير الخلق
بشرح منظومة مَنْهَجُ الحَقِّ
في العقيدة والأخلاق

للشَّيخ العلَّامة

عبد الرَّحمٰن بن ناصر السِّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ

1307-1376هـ

من إصدارات موقع الشيخ ابن سعدي

www.binsaadi.com

جمع وإعداد وشرح

صاحب الفضيلة

الشيخ: فؤاد بن يوسف أبو سعيد حفظه الله تعالى

رئيس المجلس العلمي للدعوة السلفية بفلسطين





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة لليوم العلميّ

وفيه بيان مشروعيّة مثل هذه الأيام العلميّة

إنّ الحمد لله؛ **نحمده** ونستعينه ونستغفره، **ونعوذ** بالله من شرور أنفسنا، **ومن** سيئات أعمالنا، **من يهده** الله فلا مضل له، **ومن يضلل** فلا هادي له، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أنَّ محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}. (آل عمران: ١٠٢).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}. (النساء: ١).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}.

(الأحزاب: ٧٠- ٧١).





أما بعد؛ فإنّ أصدق الحديث كتابُ الله، **وخيرَ** الهدي هديُ محمد ﷺ، **وشرَّ** الأمورِ محدثاتُها، **وكلَّ** محدثةٍ بدعة، **وكلَّ** بدعة ضلالة، **وكلَّ** ضلالةٍ في النار.

إخواني من شتى المخيمات والمحافظات؛ من بيت حانون وحتى رفح حياكم الله، **يا من لبيتم** هذه الدعوة حياكم الله، **وأهلا** ومرحبا بكم.

نبدأ وأول كلامنا عمّا يسمى **بيوم علمي** أو الأيام العلمية، ومعنى يوم علمي يعني قضاء عدة ساعات في شرح متن علمي أو منظومة أو كتاب علمي، ونغتنم هذه الأوقات، هذا فهمنا وفهم الناس لليوم العلمي، **فهل لهذا سلف**؟ وهل حدث نحو هذا مع النبي ﷺ والصحابة **رضي الله عنهم**؟

نعم، ورد ولكن بأسماء مختلفة، فهذه الاجتماعات وهذه اللقاءات، فمنا من يسميها **يوما علميا**، فيستغرق عدة ساعات.

ومنا من يسميه **محاضرة**، وهي ما يستغرقه المحاضر في ساعة أو نحوها، لكن في اللغة ليس فيها محاضرة بمعنى إلقاء درس في مسجد أو كلية أو



جامعة؛ بل في اللغة [**المُحاضرةُ**: أنْ يُحاضِرَك إنسان بحَقّكَ فيذهَب به مُغالَبةً ومُكابَرةٌ].[1] **والمحاضرة** من الحضور والمشاهدة.

لكنّ اليومَ سموَّه بيوم علميّ، أو **ندوة**، والمتعارف عليه اليوم أنّ الندوةَ؛ **عبارةٌ** عن اجتماعِ الناسِ لحضورِ جماعةٍ من أهل الاختصاص في علم من العلوم، عددهم ثلاثة أو أكثر لإلقاء ما استعدوا له مما عندهم من علم في موضوع ما، **فكلٌّ** يدلي بدلوه، **وزمن** الندوة ساعة أو عدّة ساعات.

وأصلُ الكلمة في اللغة من [النَّدِيّ على فَعِيل؛ مجلسُ القومِ ومتحدَّثُهم، وكذلك النَدْوَةُ والنادي والـمُنْتَدى. فإنْ تفرَّق القوم فليس بنَدِيٍّ.

ومنه سمِّيت دار النَدْوَةِ بمكة، التي بناها قصيّ، لأنَّهم كانوا يَنْدونَ فيها، أي: يجتمعون للمشاورة].[2]

---

(١) العين للفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): (٣/ ١٠٢)، وفي القاموس المحيط (ص: ٣٧٧): [المجالَدَةُ والمجاثاةُ عندَ السُّلْطانِ، وأن يَعْدُوَ مَعَكَ، وأن يُغالِبَكَ عَلَى حَقِّكَ فَيَغلِبَكَ ويَذْهَبَ به]. وفي تاج العروس من جواهر القاموس (١١/ ٥٢): [والمحَاضَرَةُ: المشَاهَدَةُ].

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٥٠٥).



أو يسمونه **مؤتمرًا**؛ من الائتمار أي التشاور، و[(**المؤتمَرُ**) مُجْتَمع للتشاور والبحث فِي أَمر مَا].(١)

أو ما شابه ذلك مصطلحات.

لكن نرجع إلى يومنا العلمي، وهو مأخوذُ من هدي النبي ﷺ حيث ثبت عن أَبِي زَيْدٍ عمرو بنِ أخطبَ رضي الله عنه قال:

("**صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ**")، إذن ليس يوم جمعة؛ بل أي يوم من أيام الأسبوع، ("**وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ**")، كم ساعة تقريبا؟

من ست إلى سبع ساعات تقريبا، ("**فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ**")، أين الطعام وأين الشراب؟

المهم أن هذا الحديث ثابت، ("**ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ**")، (فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا)، الحديث رواهُ الإمام مُسْلِم والإمام أحمد في مسنده.(٢)

---

(١) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (١/ ٢٦)، وفي معجم الرائد لجبران مسعود: (ص: ١٢٢٨): [مؤتمر؛ ... مجتمع القوم للنظر في أمور ثقافية، أو سياسية، أو اقتصادية، ج مؤتمرات].

(٢) (م) ٢٥- (٢٨٩٢)، (حم) (٢٢٨٨٨)، (حب) (٦٦٣٨).



قال الراوي عمرو بن أخطب ﷺ: **(فأعلمنا أحفظنا)**، فإن شاء الله أعلمُنا الآن إمّا أحفظُنا في الصدر، وإمّا أحفظُنا في السطرْ ممن أحضرَ كراسةُ ودفتره وما شابه ذلك؛ لأن الإنسان يعتريه النسيان.

وهذا الأمر حدثَ، لكن ليس بهذه الصفة بصورة أصغر، وساعاتٍ أقلّ مع حبر الأمة؛ عبدِ الله بنِ عباس **رضي الله عنهم**، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: (خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمًا بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَبَدَتِ النُّجُومُ)، =والآن تكون حانت صلاة المغرب، ما صلوا وبدت النجوم، يعني بعد غروب الشمس بنصف ساعة أو أكثر تبدو النجوم=، (وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، لَا يَفْتُرُ، وَلَا يَنْثَنِي: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتُعَلِّمُنِي بِالسُّنَّةِ؟ لَا أُمَّ لَكَ!) ثُمَّ قَالَ: ("رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ"). قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَقِيقٍ: فَحَاكَ فِي صَدْرِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَأَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَسَأَلْتُهُ فَصَدَّقَ مَقَالَتَه). رواه مسلم.(١)

يعني أخَّر المغربَ إلى وقتَ العشاءِ حتى يجمع.

(١) (م) ٥٧- (٧٠٥).



فالمقصود من هذا؛ أن الساعاتِ التي تُضبَطَ في أيامٍ يختارها بعض الناس؛ في إجازةٍ، أو في أيامٍ علمية، يكون فيها التفرُّغُ لا مانع منها إن شاء الله، والله تعالى أعلم.





بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة الأولى

الحمد لله **والصلاة** والسلام على رسول الله، **وعلى** آله وصحبه ومن والاه، **واهتدى** بهداه إلى يوم الدين، **أما بعد:**

هذه منظومةٌ للشيخ السِّعديِّ أو يقال: بكسر السين؛ السِّعدي عبد الرحمن بن ناصر $، **سماها:**

(منظومة الحق)، والمنظومةُ هذه في العقيدةِ والأخلاق، **وهكذا دَأَبُ العلماءِ** رحمهم الله؛ يأتون لنوع معين من أنواع العلوم، **ويجعلونها** متنًا مختصرًا، أو منظومةً؛ **ليَسهُلَ** حفظُها، **ويسهُلَ** تناولُها على طلاب العلم ونحو ذلك.

وهذه المنظومة تشتمل على أقسام التَّوحيد الثلاثة:

توحيد **الإلهية**، وتوحيد **الرُّبوبية**، وتوحيد **الأسماء والصِّفات**، وأيضا تحتوي على أمَّهاتِ وقواعدَ وأصولِ عقائدِ أهل السُّنَّة والجماعة، التي اتَّفقوا عليها، **ولم تخل** هذه من عدة أبيات خصصها للتدبّر، **والتَّفكُّرِ** في مخلوقات الله، **وآياتِه** الدَّالة عليه، **والدالة** على أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.



وأيضا جعل هذه المنظومة مشتملة على حثِّ الناسِ على التَّخلُّقِ بالأخلاقِ الجميلة والتنزُّهِ والتحذيرِ من الأخلاق الرَّذيلة، إذ إن هذه الأمور هي أصول العلوم وأمَّهاتها.

وأنا أقول: قد نسميها معادلة؛ -إن صح التعبير-؛ **فعندنا** دين الإسلام يساوي التوحيد يعني العقيدة، وعبادات ومعاملات وأخلاق وسلوك وآداب، أربعة:

أولها **التوحيد**، هذا هو الإسلام، بدون التوحيد لا ينفع دينك.

ثانيها: تحتاج هذه إلى عملٍ مع الله ﷻ وهي **العبادات**، ولاحظْ أنَّ هاتين الاثنتين متعلقتان بالله سبحانه وتعالى، توحيد وعبادات.

ثالثها ورابعها: **معاملاتٌ وأخلاقٌ** مع خلق الله؛ كيف تتعامل مع خلق الله سبحانه وتعالى؟

إذن هذه أربعة تساوي الإسلام، **فمن** اقتصر منها على شيء نقص من إسلامه وانتقص، إلا الأولى التوحيد، إذا ذهبت ذهب إسلامك، **فالتوحيد** بمنزلة الرأس من الجسد، **وبقية** المعادلة من صلاة وعبادات تدخل فيها المعاملات، **يدخل** فيها الأخلاق والآداب ينقص من دينك بقدر ما تنقصه أنت من هذا العمل.



وهذه المنظومة تتجاوز الستين بيتًا، **فنسألُ** الله أن يجعلَ البركةَ في هذا الوقتِ لنكملها كلّها؛ **لأنها** كلَّها -ما شاء الله- مليئة بالمشوقات والفوائد، التي يستفيدها الإنسان في دنياه وفي أخراه، **وهي** كما ذكرنا للشَّيخ: عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي، جزاه الله خيرًا، و $ رحمة واسعة، آمين، وهي هذه:

- **طلب العلم والسؤال عن المنهج السوي:**

١- فَيَا سَائِلًا عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ يَبْتَغِي   سُلُوكَ طَرِيقِ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ

الشرح:

أنت أيها الطالب، يا من تسأل عن منهج الحق، تريد النجاة فيه، لا تسأل عن منهج الباطل، ولا تسأل عن الخطأ، وتطلب الصواب لا الخطأ، وهذا يدلِّل على نية السائل، أن يسأل ونيته العمل، وتبتغي وتنوي أن تسلكَ وتسيرَ على طريقِ القوم، وتسيرَ على صراطِ الحقِّ المستقيم، طريقِ السلف الصالح من الصحابة **رضي الله عنهم** والتابعين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

فإذا سلكت طريقهم حقا وصدقا ستغمرك السعادة، ويعتريك الفرح والسرور، قال سبحانه وتعالى:



{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}، [المائدة: ٤٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}، [هود: ١٠٨].

***

- **لذلك فَكِّرْ وتأمل وتدبَّرْ ما يعرضُ عليك في هذه الأبيات فكِّر فيها جيدا وبتأمُّل، وأخلص النية لله:**

٢- تأمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مَا قَدْ نَظَمْتُهُ   تَأَمُّلَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ

الشرح:

فـ{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}، [البقرة: ١٤٧].

فكّر وتأمَّل هداك الله هداية إرشاد وتوفيق، فيما تعنيه هذه المنظومة من توحيد وأخلاق، وآداب ومواعظ، واقصد وانوِ وأخلِص توجُّهَك لطلب الحقِّ والصواب، **أخلص** توجهك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عند سؤالك العلم وطلبك له، لا تسأل مماراةً ولا مجادلة، ولا تسألْ اختبارا لشيخك، وإنما تسأل لتتعلم، ثم بعد أن تعلم تعمل.



- **الإقرار بتوحيد الربوبية:**

٣- نُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ   إِلَهٌ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمَجَّدُ

الشرح:

وتوحيد الربوبية؛ هو أن يعتقدَ الإنسانُ بأفعالِ الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي لا يفعلها ولا يستطيع فعلها غيرُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من الإيجاد والخلق، والإماتة والرزق ونحو ذلك، هذه كلُّها من توحيد الربوبية، أن يعتقد العبدُ أنّ الفاعل لهذه الأشياء هو الله عَزَّ وَجَلَّ فلا رب سواه، إنه الله:

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}، [الفرقان: ٥٩]، فنقرُّ بربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والربوبية كما قلنا: هي أفعال الرب التي لا يقدر عليها سواه، فهو الخالق والرازق، والمحيي والمميت، والمبدئ والمعيد ... إلى غير ذلك.

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**، [طه: ٥]، استوى عليه، فله عرشٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أعظمُ مخلوقاتِ الله، وإذا مدح نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأتي بذكر العرش، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، [النمل: ٢٦]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:





{**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**}، [المؤمنون: ١١٦]، وهو ﷻ أيضا ذو الكبرياء والمجد، قال ﷻ:

{**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**}، [البروج: ١٥]، فالمجيد هنا صفة لله وليست للعرش، والمجد معناه السعة، سعة الصفات. وقَالَ ﷻ:

{**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**}، [الحاقة: ١٧]، ثمانيةٌ من الملائكةِ يحملون عرشَ الله ﷻ، وإذا نظرنا إلى هؤلاء الملائكة، **وعرفنا** بعض الصفات العظيمة منهم، نعرف شيئا من حقيقة صفةِ العرش، هذا ما ثبت عَنْ جَابِرِ =بن عبد الله= **رضي الله عنهم** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(**"أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ؛ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ؛ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ"**)، رواه أبو داود.(١)

والعَاتِق: مَا بَيْن الْمَنْكِبَيْنِ إِلَى أَصْل الْعُنُق.

(**مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**)؛ أَيْ: في نظرنا نحن؛ أَيْ بِالْفَرَسِ الْجَوَادِ كَمَا فِي خَبَرٍ آخَرَ فَمَا ظَنُّكَ بِطُولِهِ وَعِظَمِ جُثَّتِهِ وَالْمُرَادُ بِالسَّبْعِينَ التَّكْثِيرُ لَا التَّحْدِيدُ. عون المعبود.(٢)

---

(١) (د) (٤٧٢٧)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٨٥٤)، الصَّحِيحَة: (١٥١).

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ٢٦).



هذا إذا كان مسيرة سبعمائة عام فما ظنك بالسبعة الذين معه وهو ثامنهم؟

فما ظنك بعظم العرش الذي يحمله هؤلاء؟ ما تتصورهُ أنت فالعرش أعظمُ من ذلك، وإنما هذه لتقريب المعنى فقط.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْكَ أَفْضَلُ؟)، قَالَ:

("آيَةُ الْكُرْسِيُّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ؛ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ")، =الحلقة التي تكون في السلسلة نسميها الجرير عبارة عن حلقات، تخيّل حلقة، هذه السماوات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، أرض صحراء، هل تُرى هذه الحلقة في الصحراء؟=

("وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ")، رواه ابن حبان.(١)

فانظر إلى عِظَمِ عرشِ الله ﷻ، و**(الفلاة)**: الصحراء والأرض الواسعة التي لَا ماء فيها.

---

(١) (حب) (٣٦١)، انظر الصَّحِيحَة: (١٠٩)، وتخريج الطحاوية (ص٥٤)، ومختصر العلو (ح٣٦).

وإذا كان الأمر كذلك؛ فنحن نشهد بأن الله معبودُنا، إذ نقرُّ بالعبودية والربوبية لله ﷻ، وأيضا بالعبودية والألوهية، **والألوهية**: هي أفعال العبد التي لا تليق إلا بالله، **فالربوبية**: أفعال الرب التي لا تليق إلا به، وأما **الألوهية**؛ فأفعال العبد تجاه الرب، **عبودية** لا تليق إلا بالله ولله، مثل الخوف وكلِّ أنواع العبادات، **هذه** ألوهية، **وعبودية** لله ﷻ؛ الرجاء، **الخشية** الإنابة الخشوع، الذل، كلّ هذه من توحيد الألوهية.

وأيضا يدخل في العبودية **الحبّ** الذي لا يكون إلا لله، لأن **الحبّ** كما قال ابن القيم عشر مراتب،(١) وأعلاها مرتبة؛ **الخُلة**، وهذه لا تكون إلاّ

---

(١) وها هو ملخصها من هي مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٩-٣٣):

مَرَاتِبِ الْمَحَبَّةِ:

أَوَّلُهَا: الْعَلَاقَةُ، وَسُمِّيَتْ عَلَاقَةً لِتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْمَحْبُوبِ.

الثَّانِيَةُ: الْإِرَادَةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَطَلَبُهُ لَهُ.

الثَّالِثَةُ: الصَّبَابَةُ، وَهِيَ انْصِبَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ. بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُهُ صَاحِبُهُ.

الرَّابِعَةُ: الْغَرَامُ وَهُوَ الْحُبُّ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ، الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ. بَلْ يُلَازِمُهُ كَمُلَازَمَةِ الْغَرِيمِ لِغَرِيمِهِ.

الْخَامِسَةُ: الْوِدَادُ وَهُوَ صَفْوُ الْمَحَبَّةِ.

السَّادِسَةُ: الشَّغَفُ يُقَالُ: شُغِفَ بِكَذَا. فَهُوَ مَشْغُوفٌ بِهِ. وَقَدْ شَغَفَهُ الْمَحْبُوبُ. أَيْ وَصَلَ حُبُّهُ إِلَى شَغَافِ قَلْبِهِ.

السَّابِعَةُ: الْعِشْقُ وَهُوَ الْحُبُّ الْمُفْرِطُ الَّذِي يُخَافُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنْهُ.



للأنبياء مع الله ﷻ، ومنهم إبراهيم عليه السلام، ومحمد ﷺ، وأمّا **العشقُ** فهو نوعٌ من أنواع الحبّ الذي لا يكون إلا بين الرجل والمرأة، المرأة العشيقة الحبيبة أو الزوجة، أما غير ذلك فلا يقال: أنا أعشقُ الله، أو أعشقُ رسولَه؛ لأنها توحي بنوعٍ من الجنس والشهوة والعياذ بالله، فلا يكون هذا متوجها إلى الله، ...

إذن هناك حبُّ عبادةٍ أنت تتوجَّه به إلى الله ﷻ، لكنّ هذا الحبَّ يكون مع الخوف منه سبحانه وتعالى.

***

- **الشهادة بتوحيد الألوهية:**

٤ -وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَا الَّذِي   نُخَصِّصُهُ بِالحُبِّ ذُلّاً وَنُفْرِدُ

الشرح:

قال الله سبحانه وتعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**

الثَّامِنَةُ: التَّتَيُّمُ وَهُوَ التَّعَبُّدُ، وَالتَّذَلُّلُ. يُقَالُ: تَيَّمَهُ الْحُبُّ أَيْ ذَلَّلَهُ وَعَبَّدَهُ. وَتَيْمُ اللَّهُ: عَبْدُ اللَّهِ.

التَّاسِعَةُ: التَّعَبُّدُ وَهُوَ فَوْقَ التَّتَيُّمِ. فَإِنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي قَدْ مَلَكَ الْمَحْبُوبُ رِقَّهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ نَفْسِهِ أَلْبَتَّةَ. بَلْ كُلُّهُ عَبْدٌ لِمَحْبُوبِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ.

الْعَاشِرَةُ: مَرْتَبَةُ الْخُلَّةِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا الْخَلِيلَانِ -إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ- ... وَالْخُلَّةُ؛ هِيَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَخَلَّلَتْ رُوحَ الْمُحِبِّ وَقَلْبَهُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِغَيْرِ الْمَحْبُوبِ، ...



يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، [المائدة: ٥٤]، فنشهد شهادة حقّ؛ ألاّ معبود بحقٍّ إلا الله ﷻ، فخطأ أنْ تقول: أن لا معبود إلا الله، هناك معبوداتٌ كثيرةٌ، وأصنامٌ لا تُعَدُّ ولا تُحصى، واسألوا أهلَ الهندِ إنْ كنتم لا تعلمون: كم عبادة عندهم؟ وكم ربًّا يعبدونه؟ إذن؛ عندهم معبودات كثيرة.

فالحقُّ والصوابُ أن تقول: لا معبودَ بحقٍّ، كلُّها معبوداتٌ لكن ليسَ بحقٍّ، فلا معبودَ بحق إلا الله، فنخصُّه ونفرده بكمال الحبِّ مع كمالِ الانقيادِ والذلّ والعبوديةِ له ﷻ.

***

- **فهو الله وحده ﷻ المستحقُّ للحمد والمجد والثناء الحسن:**

٥- فلِلَّهِ كُلُّ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ وَالثَّنَا   فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلُّ إِلَى اللهِ يَقْصُدُ

الشرح:

فمن أجل هذه الصفات العظيمة والجليلة؛ الكلُّ يقصده، وكلُّ المخلوقاتِ؛ إلاّ الشياطينَ وشرارَ الإنس.

والحمد؛ أن تذكرَ صفاتِ اللهِ المحمودِ مع حبِّه وتعظيمِه، وإكبارِه وإجلاله. قال الجرجاني:





[**الحمد**: هو الثناء على الجميل، من جهة التعظيم من نعمة وغيرها).([1])

والتمجيد؛ أن تمجِّدَ اللهَ المجيدَ سبحانه وتعالى، بأنْ تكثِرَ من ذكرِ صفاتِه، وتوسِّعَ في قدرِها وعظمتِها، وما خطر ببالك فالله ليس كذلك، الله أعظم من ذلك سبحانه وتعالى.

قال المناوي: [المجد: السعة في الكرم والجلالة والعز والشرف].([2])

وأمّا **الثناء**؛ فمعناه في اللغة التكرار،([3]) بأنْ تكرِّرَ هذا الأمر، وتثنِّيَ ذكرَ هذه الصفات؛ صفات الله، فكلما ذكرتها تعيدُها مرة أخرى، فتذكرُها سواءً بقلبك، أي بالتدبُّر والتفكُّر، أو بلسانك، أن تذكرَها هذه الصفات في مجمع من المجامع أما الخلق، أو تذكرَها في نفسك، لذلك سميت سورة **الفاتحة السبع المثاني**؛ لأنّ الآياتِ فيها كُلُّها صفاتٌ ومدح لله سبحانه وتعالى تكرر سبع مرات، فلذلك سميت بالسبع المثاني.

---

(١) التعريفات للجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ): (ص: ٩٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ): (ص: ٢٩٨).

(٣) [الثناء: ما يذكر عن محامد الناس فيثنى حالا فحالا، وأصل الثني العطف، ومنه الاثنان لعطف أحدهما على الآخر، والثناء لعطف المناقب في المدح]. التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١١٧).



ولأجل ذلك الكونُ كلُّه يتوجَّهُ إلى الله ﷻ ويقصده؛ لماذا؟

ليرضى عنه ويرزقه، وليهيِّئَ له الأرزاقَ، ويبيِّنَ ويوضِّحَ له ويعرِّفَه أسبابَ هذه الأرزاق، ويوفِّقَه أيضا لهذا الأمر.

قال سبحانه وتعالى: {**وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**}، [القصص: ٧٠]، فكلُّ الكونِ يسبِّحُ بحمدِ الله عز وجل، قالت الملائكة لسارَّة زوجة إبراهيم عليه السلام، عندما بُشِّرت بإسحاق:

{**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**} [هود: ٧٣]، إنه مستحقٌّ للحمدِ والتمجيد سبحانه وتعالى، وقال سبحانه وتعالى:

{**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ**} [الإخلاص: ١، ٢]، **والصمد**، أي: المقصود عند قضاء الحوائج، تقصده الكائنات،(١) وقال سبحانه وتعالى بيانا لدعاء المؤمنين:

---

(١) [**الصمد**: السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويعتمد عليه، أو الذي ليس بأجوف، والذي ليس بأجوف شيئان: أحدهما أدون من الإنسان كالجماد، الثاني أعلى منه، وهو الباري تقدس، والملائكة].التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢١٩).



{رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة: ٤]، كلُّ هذه تردُّ العبدَ إلى الله ﷻ، وتجعلُه يعترفُ بربوبية الله، وألوهيته، وبسعة أسمائه وصفاتِه.

أول آية في الفاتحة: {الحمد لله}، فما قال: (أحمد الله)، ولا بدأها بـ(العبد المسلم يحمد الله)، وإنما قال: {الحمد لله}، سواء حَمِدَتَ أم لم تحمده، سواء قصر الإنسان في حمد الله وشكره، أم لم يقصر، فـ{الحمد لله}، لذلك جاء عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (عَلِّمْنِي دُعَاءً لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ)، قَالَ:

(**"قُلْ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ"**)، رواه البيهقي في الشعب.(١)

فالحمد كلُّه لله سبحانه وتعالى، وفي الحديث الطويل الذي رواه مسلم، عن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه؛ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) (هب) (٤٣٩٩)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ: (١٥٧٦).



("... فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ...")، رواه مسلم.(١) ففيه الثناء والحمد والتمجيد.

وأيضا ثبت عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ:

("لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ")، =هذه كان يقولها ابن الزبير دبر كل صلاة= (وَقَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ")، رواه مسلم.(٢)

- فالكونُ كلُّه؛ مِن الذّرّة؛ الجسْمِ الصغير، إلى المجرّة أكبر المخلوقات المشاهدة في الكون؛ فمن الذرّة إلى المجرَّة كلُّه يسبّح

---

(١) (م) ٢٩٤- (٨٣٢).
(٢) (م) ١٣٩- (٥٩٤).



لله، ويصلي له ويسجد ما يتأخّر أحد؛ إلاّ الشياطين وأغبياء وشرار بني آدم:

٦- تُسبِّحهُ الْأَمْلَاكُ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَا وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ حَقًّا وَتَحْمَدُ

الشرح:

المخلوقاتُ كلّها ما يتأخَّرُ منها أحد، فلا يوجد كائنٌ حيٌّ أو جمادٌ؛ إلا وهو في عبادةٍ دائمةٍ لا تنقطع؛ إلاّ الشياطين وشرارُ الناس، **فالكون في تسبيح**، والآيات دالَّةٌ على ذلك، قال ﷻ:

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: ٤٤]، حتى الرعد؟

نعم! حتى **الرعد يسبح**، قال ﷻ:

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}، [الرعد: ١٣].





والكون كلُّه في صلاة وذكر، قال ﷻ: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ}، =إذن يوجد صلاة ويوجد تسبيح=، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}، [النور: ٤١].





والكون كله في عبادة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ}، [الأعراف: ٢٠٦]، والذين عند الله هم الملائكة.

والكون في سجود، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}، [الرعد: ١٥]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}، [النحل: ٤٩]، سجودٌ بِذُلٍّ دونَ استكبار، هذا السجود عند الكون بأكمله، وكذلك الآية التي في سورة الحج، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ}، =لكن عندما جاء إلى ذكر الناس قال=: **{وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}**، [الحج: ١٨]، حتى النجوم والأشجار تسجد للواحد القهار، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}، [الرحمن: ٦]، والنجم قالوا في تفسيره: النجم المعروف، وبعضهم قال: النجم؛ هو ما نَجم على وجه الأرض من





نبات، ليس له ساق، التي تَسْبَح على الأرض ليست كالأشجار، لذلك قال: والنجم والشجر يسجدان.

وهذا التَّسْبيحُ لا ينقطع؛ بل هو عبادة مستمرة، يا ليتنا نفقهُ شيئا من ذلك، وإن لم نفقهْ؛ فقد علَّمنا من يفقه ويَعلَم، وهو الرسول ﷺ، وجاء في القرآن أنّ هذه الكائناتِ كلَّها تسبِّح الله، وتعبد اللهَ وحده.

جاء عَنْ عَمرو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(**"مَا تَسْتَقِلُّ الشَّمْسُ"**)؛ =أي: ما تخرج في النهار، وتبدأ في الصعود= (**"فَيَبْقَى شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ؛ إِلَّا سَبَّحَ اللهَ، إِلَّا"**) =هنا يوجد استثناء، إلاّ= (**"مَا كَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ"**)، قَالَ الْوَلِيدُ =بْنُ عُتْبَةَ الدِّمَشْقِيُّ=: فَسَأَلْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَمْرٍو: (مَا أَغْبِيَاءُ بَنِي آدَمَ؟!) =من هم هؤلاء الذين لا يسبِّحون الله= فَقَالَ: (شِرَارُ خَلْقِ اللهِ)، (مسند الشاميين).(١)

إذن؛ الشياطينُ وشرارُ خلْقِ اللهِ من البشر؛ حَرَمُوا أنفسَهم من التسبيحِ ومن الذكر ومن الصلاة ومن العبادة.

وعن بُرَيدة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ:

---

(١) (مسند الشاميين) (٩٦٠)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٥٥٩٩).





("**لَيْسَ شَيْءٌ**")، =كلمةُ شيء؛ نكرةٌ، تفيدُ العمومَ والشمول؛ أي: كلّ شيء= فـ("**لَيْسَ شَيْءٌ؛ إلاَّ وهُو أَطْوَعُ لِلَّهِ تبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ ابْنِ آدَمَ**"). رواه الطبراني في الصغير والديلمي والبزار.(١) أطوع؛ أي: ينقادُ مباشرةً لأوامر الله ﷻ لا يعصيه، يعصيه، هل رأينا حمارًا يشتمُ اللهَ؟ هل رأينا كلبا يسبُّ اللهَ؟

لأنه غيرُ مكلَّف حتى ولو أنها في نظرنا قد عصت، هذا غير مكلف، فهي في ذكر وتسبيح وعبادة مستمرة، فليس شيء إلا وهو أطوع لله ﷻ من ابن آدم.

ولذلك جاء عن بعض السلف، وهو فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ =شارح مسلم= $ قَالَ لِابْنِهِ عَلِيٍّ: (يَا بُنَيَّ لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّكَ مُطِيعٌ؟!) =أي: أنك ترى نفسك مطيعا لله؛ تصلي الليل وتسبح وتذكر= (لَصُرْصُرُ بْنُ صُرَاصِرِ الْحُشِّ أَطْوَعُ لِلَّهِ مِنْكَ)؛ يَعْنِي بِالصَّرْصَرِ الَّذِي يَصِيحُ بِاللَّيْلِ. حلية الأولياء.(٢)

وهو الحشرة التي تكون في الدورات، وأماكنِ القاذورات، هذه أطوع لله من ابن آدم، مِنْ مَنْ؟ من ابن عالم من العلماء، فكيف بغيره؟

---

(١) (طص) (٩٠٩)، الديلمي (٤/ ٤٨)، رقم: (٦١٤٩)، مسند البزار، البحر الزخار (١٠/ ٢٧١)، رقم: (٤٣٧٤)، وحسنه في صحيح الجامع (٥٣٩٣).

(٢) حلية الأولياء (٩/ ٢٨١، ٢٨٢).



وقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ $: **(كَمْ مِنْ مَرْكُوبٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهِ)**،

=المركوبُ؛ ما هو؟

كانوا يركبون الجملَ والبعير، والبغال والخيل الحمير، لماذا هذا خير من راكبه؟ لأنه يعبد الله، قال: كم من مركوب خير من راكبه= (وَأَطْوَعُ لِلَّهِ، وَأَكْثَرُ ذِكْرًا)، شعب الإيمان للبيهقي.(١)

- **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير:**

٧- تَنَزَّهَ عَنْ نِدٍّ وَكُفْءٍ مُمَاثِلِ وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الْمُوَحَّدُ

الشرح:

المؤلِّفُ $، دخل في الحديث عن صفات الله ﷻ، وفي السابق كان يأتي بها بالعموم، والآن بشيء من التفصيل.

تنزَّه الله ﷻ عن النّدِ والنظير، والشبيه والمكافئ والمثيل، فتنزّه ﷻ وتقدس وتعالى عن كلِّ نِدٍّ.

---

(١) شعب الإيمان (٧/ ١٦٤)، رقم: (٤٨٢٥).

والنِّدُّ؛ [مَا كَانَ مثلَ الشَّيْءِ يضادُّه فِي أُمُوره].([1]) فمن ينادد الله ويقف أمامه بقوةٍ أو مكانة أو قدرة أو جبروت، أو كبرياء، وما شابه ذلك، تنزه عن ذلك.

وكفء؛ المكافئ المماثل، والكُفْءُ: النَّظير والمُساوِي.([2])

ومماثل؛ [المُشابَهة والمُضارَعة والمماثَلة سَوَاء فِي اللُّغَة].([3]) أيضا لا يوجد مخلوق أو إلهٌ آخرَ غير الله ﷻ بهذه الصفات.

وتنزه عن وصف ذي النقصان؛ أي: وتنزه الله ﷻ وتقدس عن وصفه بأوصاف لا تليق به؛ كاتخاذ الصاحبة واتخاذ الولد ونحو ذلك، كما وصفته اليهود كما سيأتي، قال ﷻ: بسم الله الرحمن الرحيم:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} سورة الإخلاص. فأثبت لنفسه صفاتِ الجمالِ والجلالِ والكمال، ونفى عن نفسه صفات النقصان والخذلان، وقال ﷻ:

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٥٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٨٠).

(٣) المخصص لابن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ): (٣/ ٣٧٣).



{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، نفيٌ مع إثبات؛ فتنزه ﷻ عن كل الندِّ الكفءِ والمماثل، قال ﷻ:

{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، [البقرة: ٢٢]، فلا تتخذوا له نِدًّا في العبادة، فلا تعبدوا صنما، أو شيخا، أو نحو ذلك مع الله ﷻ، لا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أن الله واحد لا ندَّ ولا نظير.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ)، =والنسب كيف يكون؟ فلان بن فلان بن فلان، هذا على قدر حالهم جاهل أعرابي جلف، كما قاله عمر بن الخطاب وغيره،= (فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ})، =هكذا هو النسب واحد لا إله إلا هو=، (فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ)، =ملكه يبقى لمن بعده=، (وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ)، ={لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}=: ({وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}) [الإخلاص]، (قَالَ: "لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ")، رواه الترمذي والحاكم.(١)

---

(١) (ت) (٣٣٦٤)، (كم) (٢/ ٥٨٩) ح (٣٩٨٧)، وقال: [هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ]، وصححه الذهبي.





وَتنزه ﷻ عَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ، أي: تنزه عمن يصفه بالتعب، وهم اليهود، فرد عليهم ﷻ قائلا:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: ٣٨]، أي: تعب، فاليهود قالوا: خلقها في ستة أيام وانتهى يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، وهذا من افترائهم على الله وعدم علمهم بقدر الله ﷯: **{وما قدروا الله حق قدره}**، ووصفوه ﷻ بالبخل، فقال عنهم:

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ...} [المائدة: ٦٤]، بعض الناس يزداد بالقرآن وبالتذكير طغيانًا وكفرًا، إذا دعوته إلى الله تجده يشمئز وينفر منك.

جلّ وتعاظم الموحَّدُ ﷻ، **فنوحِّدُه توحيدًا علميًّا خبريا**؛ بإثبات ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال، وننفي ضدّ ذلك.

ونوحده توحيدا عمليا؛ في العبادات والطاعات، فلا نصرف شيئا منها لغيره ﷻ.



كذلك علينا إثباتُ أخبارِ الصفاتِ على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وليس** كما تتصوره أذهاننا، وما يخطر ببالنا، بل على ما يليق به جَلَّ جَلَالُهُ.

***

• إثباتُ أخبارِ الصفاتِ على ما يليقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

٨- وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا وَنَبْرَأُ مِنْ تَأْوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ

الشرح:

فنثبت له ما أثبت الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ في الأحاديث الصحاح، وما ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من الأسماء الحسنى والصفات العليا كلِّها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١٨٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ}؛ =يعني: سواء دعوتَ الله، أو دعوتَه بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه الأخرى، فلا مانع=، **{أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}** [الإسراء: ١١٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سرد مجموعة من أسمائه وصفاته:

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، [الحشر: ٢٢- ٢٤].

ومع ذلك، ومع هذه الأمور تجد المشركين اخترعوا لله شركاء وأندادا، وشركاء في عباداتهم، {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، هؤلاء من الجن والإنس والمشركين، وحتى من مشركين إنس يتخذون من الجن شركاء لله عز وجل، قال سبحانه وتعالى:

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ}، [الأنعام: ١٠٠]، يعني؛ لم يصفوه فقط أو شاركوا الجن معه في عبادته؛ بل اخترعوا واخترقوا اختراقا، يعني أشد من الاختراع؛ أن لله بنين وبنات، يصفون الله عز وجل بصفة سيئة عندهم، أن يقول عن الرجل الذي لا ينجب الذكور، يقولون عنه: هذا أبو البنات، فهذه صفة ذميمة عندهم، فهذه الصفة نقلوها لله عز وجل، قال سبحانه وتعالى:



{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: ٢٢]، {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}، [يوسف: ٦]، وهناك تأويلاتٌ في تفسير كتابِ اللهِ ﷻ؛ **تأويل** ممدوح جائز، **وتأويل** ممنوع محظور، **فالتأويل** الجائز الذي هو التفسير: {**هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله** ...}، معناه وقوع ما في الكتاب على حقيقته، تأويلٌ يعني وقوع الأمر على ما هو، أو تفسيرٌ توضيحٌ وبيانٌ لكلماتٍ وآياتٍ وما شابه ذلك، وهذا **التأويل** جائز.

أما **التأويل الممنوع**؛ فيدخل فيه التحريف في اللفظ أو في المعنى، يحرف اللفظ، كقولهم عندما قيل لهم: (قولوا: حطة)، قالوا: حنطة، وفي القرآن: {الله استوى...}، قالوا: استولى، صارت تحريفات.

ويدخل في **التأويل** الجحد والإنكار، والتعطيل.

لذلك نبرأ من التأويلِ الباطل، والتحريف الغالي الجاحد، فَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ"**،(١)

---

(١) (هق) (٢٠٧٠٠)، (مسند الشاميين) (٥٩٩)، وصححه الألباني في المشكاة: (٢٤٨).



والتحريف قد يكون في اللفظ، وقد يكون في المعنى، والجحد الإنكار والتعطيل.

- **العقل ما له إلاَّ التسليمُ للنصوصِ الشرعيّة خصوصًا في الأمور الغيبيّة:**

٩- فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ فسَلِّمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ

الشرح:

العقلُ عاجزٌ عن إدراك كنهِ وماهيةِ وكيفيّةِ صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فما عليه؛ أي العقل إلا التسليم، يقبلُ النصَّ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسلم للمعاني على مراد الله عَزَّوَجَلَّ ومرادِ رسوله، والتسليمُ لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالإيمانُ بالأسماء والصفاتِ واجبٌ والسؤالُ عن الكيفية بدعةٌ، فلا يجوز السؤال: كيف استوى؟ دخلت في البدعة، فالكيفيّة لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تقلْ: كيف؟ إلا لإنسان رأى بعينه وشاهد ببصره، يقول: كيف شاهدت المشاهد كذا وكذا؟ لأنه شاهدها ورآها.

فمَنْ رأى اللهَ عَزَّوَجَلَّ حتى يصفَه؟!

وإنما وصفَ اللهُ نفسَه، ووصفه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفاتٍ نؤمنُ بها، لكن لا نعلم الكيفية، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:





{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}، [طه: ١١٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}، =فكيف يُرى من لا تدركه الأبصار؟!= {وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، [الأنعام: ١٠٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، [النساء: ٦٥]، فتسليم العقل للنصوص الشرعية، مطلوبٌ في العقائدِ والغيبياتِ، والإيمان والتوحيد، ما دامت جاءت هذه النصوص من طريق صحيح ثابت عن النبي ﷺ، من كتاب أو سنة.

- **وهو في عليائه تصمُدُ إليه؛ أي تقصده المخلوقات:**

١٠- هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظَمِ صِفَاتِهِ ... وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ للهِ يَصْمُدُ

الشرح:

يصمد؛ أي: يتوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بطلب الحاجات، وقضاء الحوائج، **فالصمد** من معانيه؛ السيّدُ العظيم، ذو السؤدد الكامل، والسيادة التامّة، الذي تقصِدُه الخلائقُ في قضاء حوائجهم، وذلك لعظيم صفاته، وحكيم أفعاله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:





{**اللَّهُ الصَّمَدُ**} [الإخلاص: ٢]، وهو كبيرٌ متعالٍ قال ﷻ:

{**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**}، [الرعد: ٩]، وهو عليٌّ عظيم، قال ﷻ:

{**وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**}، [البقرة: ٢٥٥]، كلّ هذه الصفات تدلُّ على العظمةِ والكبرياء والعلو، قال ﷻ:

{**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**}، [الشورى: ٤]، وقال ﷻ:

{**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**}، [الواقعة: ٧٤]، وبعضهم يدخل النار فيقول الله له:

{**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ**}، [الحاقة: ٣٢، ٣٣].

وتَظْهَرُ عظمتُه وعلوُّه يوم القيامة ظهورا بيّنا واضحا لكلّ الخلائق، فيعترفون له، ويقِرُّون له بذُلِّهم وعبوديتهم، فكلهم عبيده، قال ﷻ:

{**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**}، [مريم: ٩٣]، وسيقفون بين يديه فُرَادَى، قال ﷻ:





{**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**}، [مريم: ٩٥]، وسيقفون بين يديه فقراء، قال ﷻ:

{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**}، [فاطر: ١٥]، وتتَّضِحُ الأمور بعد فوات الأوان في الآخرة، لكنّ المؤمنَ قبل فوات الأوان يستعدُّ لهذا الأمر.

***

- **علوّه على خلقِه علوُّ ذاتٍ، وعلوُّ منزلةٍ ومكانةٍ، مع قُرْبِه من خلْقِه بعلْمِه وحفْظِه:**

١١- عَلِيٌّ عَلَا ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرُهُ ... قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالْوَرَى مُتَوَدِّدُ

الشرح:

الورى: الخلق والناس، ومن صفاتِ الله ﷻ؛ **أنه عالٍ بذاته فوقَ خلقه**، كما قال ﷻ:

{**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}، [النحل: ٥٠]، **وعالٍ مكانةً ومنزلةً وقدرًا** فقدْر الله عظيم، قال ﷻ:

{**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**} [الحج: ٧٤]، وقال ﷻ:



{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، [الزمر: ٦٧].

أمَّا عُلوُّه عُلوَّ قهر، فقد قال الله ﷻ: **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}**، [الأنعام: ١٨].

ومع علوّهِ على خلقه، هو قريب مِنهم، وهو معهم بعلمه وحفظه ورزقه، الشاهد على ذلك من الواقع الملموس:

أرأيتم القمر في الليل ليلة البدر، ليس بينه وبين الناس سحاب يحجبه، فالقمر في علوِهِ، وكلُّ مَن يراه يظنُّه أنه معه، كل من يراه في أي مكان في الأرض يظنه موجود معه، ومنفرد به، وكلُّ مكانٍ بالذات، ذات القمر عالٍ بالنسبة لنا، ومع ذلك نقول: القمر معنا، سرنا نحن الليلة والقمر، واو المعية، لكن الذات ليست معك.

فالله **قريب من خلقه**، مع عُلُوِّه عليهم، قال ﷻ:

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ}، =إذن قريب بإجابة دعوة الدعاء=، **{إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**، [البقرة: ١٨٦]، وكذلك قال ﷻ:

{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}، [هود: ٦١]، إذن القرب هنا قرب الإجابة مباشرة، {إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}، [سبأ: ٥٠].

وهو **يتودَّدُ** إلى عباده بألطافه، **ويتحبَّب** إليهم بنعَمِه ورحماته وأفضاله، يغفر للمستغفرين، ويتوبُ على التائبين، قال نوح عليه السلام:

{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}، [هود: ٩٠]، وقال سبحانه وتعالى:

{وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ}، [البروج: ١٤]، وقال جل جلاله:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}، [مريم: ٩٦]، أيْ: حُبًّا في قلوب العباد، وإذا أحبّكَ ربُّ العبادُ قبل أنْ يحبَّك العباد؛ **تحبُّك الملائكة** لحبِّ الله لك، وينادَى بمحبة الله هذه في الملأِ الأعلى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ:

"إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ"، متفق عليه، وزاد مسلم:



"... وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ".(١)

فهي بُشرَى لمن أحبَّه الله في الدنيا، ويا بُشراه في الآخرة، قال ﷻ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ}، =فبدأ بنفسه فقال=: {يُحِبُّهُمْ} =أي: هو يحبُّهم=، {وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}، [المائدة: ٥٤].

- **حياتُه سرمديّةٌ دائمةٌ باقيةٌ، وقيُّوميَّته أبديّة؛ فهو الجوادُ الغنيُّ:**

١٢- هُوَ الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الْجُودِ وَالْغِنَى   وَكُلُّ صِفَاتِ الْحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ

الشرح:

هو الحيُّ ﷻ حياةً دائمةً لم يسبقْها عدمٌ، ولا انقطاع لها، حياة كاملة؛ ولا يعتريها نوم أو تعب، أو نقص، ﷻ، وهو قيوم قائم بذاته غني عن مخلوقاته، لا يحتاج إلى أحد، وأيضا خلقه قائمين به، لا يستطيعون التخلِّي عنه، والكائنات قائمة به مفتقرة إليه، قال ﷻ:

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، [البقرة: ٢٥٥]، وقال ﷻ:

---

(١) (خ) (٣٢٠٩)، (م) ١٥٧- (٢٦٣٧).



{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}، [طه: ١١١]،

وقال سبحانه وتعالى:

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا}، [الفرقان: ٥٨]، قال سبحانه وتعالى:

{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، [غافر: ٦٥].

وهو الغني الجواد، المنعِم المتفضِّل المتكرِّمُ على خلقه، غناه سبحانه وتعالى عن غيره غنىً تامٌّ، وجودُه الجودُ الكامل الذي لا يعتريه أدنى نقص، قال سبحانه وتعالى:

{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ}، [الأنعام: ١٣٣]، قال سبحانه وتعالى:

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، [الحج: ٦٤].

أخي القارئ!! نمرُّ عن هذه الآيات وفيها قولُ الحيّ القيوم سبحانه وتعالى: **{له ما في السماوات والأرض}**، مروراً ...

فكّر مثلاً؛ أنّ لَكَ مُلْكُ القريةِ التي أنت فيها، أو تملكُ أرضًا مترامية الأطراف، مليئة بجنات الأرض؛ بل لو كنت تملك الأرضَ كلَّها، **أنت كيف يكون حالك؟**



اللهُ له ملكُ السماواتِ والأرضِ!! ما تفكِّر بهذا؟

الخزائن التي في السماوات والأرض التي قلنا عنها في منطقة كذا أو كذا، بأرض معينة، ماذا فيها من خيرات، هل تساوي الخيرات التي بين السماء والأرض؟ أو في السماء والأرض؟! قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ}، [المنافقون: ٧]. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}**.

أغنى الناس عندنا اليوم من يملك كذا وكذا دونما من الأرض، أو يملك كذا وكذا من الرصيد في البنوك، أو ما شابه ذلك، هذه تساوي ماذا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، [فاطر: ١٥]، {وَاللَّهُ **الْغَنِيُّ** وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ}، [محمد: ٣٨].

جاء في الحديث القدسي فيما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

("**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**")، =خطابٌ لعبده، العبد المسلم المؤمن،= ("**وَقَالَ**") =الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:=

("يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ")، =مستمرة العطاء من الله ﷻ،= ("وَقَالَ") =النبيُّ ﷺ لأصحابه **رضي الله عنهم**:=

("أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟!")، =متى خلق السماوات والأرض؟ كما يقول الجيولوجيون الذين يبحثون في التاريخ؟ ملايين أو مليارات السنين، قال:=

("فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ")، =لم ينتهِ الذي في يده ﷻ، فما انتهى شيْءٌ بسيطٌ جدًّا مما أنفقه على الخلق، وما بقي ادّخَره للمؤمنين يوم القيامة،=

("وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ")، متفق عليه.(١)

فالله الجواد ذو الكرم والجود، إذا أنفق لا يخشى نفاد ما عنده ولا نقصانه،

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رضي الله عنهم** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("إِنَّ اللهَ ﷯ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا")، رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي.(٢)

---

(١) (خ) (٤٦٨٤)، (م) ٣٧- (٩٩٣).

(٢) (ش) (٢٦٦١٧)، (ك) (١٥١)، (هق) (٢٠٥٦٩)، صَحِيح الْجَامِع: (١٧٤٤)، الصَّحِيحَة: (١٣٧٨).

(**السَّفْسَاف**): الأمرُ الحقيرُ البسيط، والرديء من كل شيء، وهذه التي يبغضها الله ﷻ، وهو ضدُّ المعالِي والمكارِم، **وأصله**: ما يَطير من غُبارِ الدِّقيق إذا نُخِلَ، والتُّرابِ إذا أُثِير. النهاية.(١)

هذا كله سفسافٌ يبغضه الله ﷻ، يعني أنت لا يكن همُّك دخولَ الجنَّة فقط، أو غايةُ مناك أن تصلَ إلى هذه الأمور التي ترفعك درجة، بل ابحث عن الدرجات العالية، لا الدرجة الواحدة، اعمل جهدك واجتهادك لتصل إلى أعالي الأمور ومعاليها.

ويدخل في السفساف الأخلاق الرذيلة والسيئة مع الآخرين وما شابه ذلك.

وَكُلُّ صِفَاتِ الْحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ، فلله الحمد على صفاته، ولله الحمد على أفعاله، وله الحمد على نعمائه، وله الحمد على مننه وعطاياه، قال ﷻ:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}، [سبأ: ١]، وعَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (عَلِّمْنِي دُعَاءً لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ)، قَالَ:

---

(١) النهاية في غريب الأثر (ج٢/ ص٩٤٣).



("قُلْ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ")، رواه البيهقي في الشعب.(١)

***

- **هو ﷻ محيطٌ بكلِّ الكائنات:**

١٣- أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَبِرًّا وَإِحْسَانًا فَإِيَّاهُ نَعْبُدُ

الشرح:

إحاطته بخلقه من **جهة عِلْمه**، فعلومُه محيطة بالمخلوقات جميعها، قال ﷻ:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}، [الطلاق: ١٢]، وجاء في قوله أيضا:

{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}، [الجن: ٢٨]، وقال ﷻ:

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}،

=ماذا يوجد في البر؟

(١) (هب) (٤٣٩٩)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ: (١٥٧٦).



البرُّ مليءٌ بأمور عجيبة، هناك أوكارٌ وجحورٌ وكهوف، وجبالٌ وهضاب، وأنفاقٌ وأسراب، ووديانٌ ووهاد، وذراتٌ في غبار، وأشجار في غابات، والبحار ماذا فيها؟

فيها ما في الدنيا أضعافا مضاعفة، العددُ الذي في البحار من المخلوقات أضعافُ ما في ما في البَرِّ، ولله ملك السماوات والأرض، ويعلمُ ﷻ حركةَ الرياح، واهتزازَ الأغصان=،

{**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا**}، =يعني يعلم متى ستسقط ورقة من الشجرة؟ وكيف يكون سقوطها وتطايرها؟ وأين ستستقر؟

الرياحُ تأخذها فتذهب بها، كلُّ ذلك أنت لا تعلم أيها الإنسان لكنه ﷻ يعلمها، وأيضا=،

{**وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**}، [الأنعام: ٥٩]، ليس هذا عِلْمٌ فقط من الله ﷻ؛ بل مسجَّلٌ ومدوَّنٌ في {**كِتَابٍ مَسْطُورٍ* فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ**}، [الطور: ٢، ٣]، قبلَ أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ **رضي الله عنهم**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:



("**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**")، رواه مسلم.(١) وهذه الأشياء المكتوبة يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن توجد، و{**عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى**} [طه: ٥٢].

إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، محيط بهم من جهة **مُلكِه وقدرتِه وسلطانه**، {**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، [آل عمران: ١٨٩]، {**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، [آل عمران: ٢٦].

ومحيطٌ بخلقه **بإحسانه**، {**إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**}، [الطور: ٢٨]، البَرُّ من البِرّ، يبرُّ مخلوقاتِه ويرحمهم، قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**}، [يوسف: ٢٣]، وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ**}، [يوسف: ١٠٠]، من الذي أخرجه من السجن؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

---

(١) (م) ١٦- (٢٦٥٣).



{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}، [القصص: ٧٧].

وإحسانه محيط بخلقه، قال الله ﷻ:

{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ}، [السجدة: ٧]، وقال سبحانه وتعالى:

{قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} [الطلاق: ١١]، هذا الإحسان من الله ﷻ لخلقه.

كذلك، فلا يغيب عن علمه تركيبُ ذرة، ولا ما يجري في مجرَّة، هذه الذرة الصغيرة مركّبةٌ من ماذا؟ سواء ذرة الغبار أو ذرةُ النمل، كيف أجهزتها؟ وما فيها من تركيبات؟ يعلمها الله بالتفصيل والتدقيق؛ لأنه هو خالقها.

كذلك الذي وُجِد في العلومِ المكتَشفة حديثا؛ وعلمناها علومٌ عامّةٌ كالمجرَّات، هل يسكنها أحد من البشر؟ ما يستطيع، لكن الله ﷻ يعلم ما يجري فيها، قال سبحانه وتعالى:

{عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ}، =الذرات الصغيرة= {وَلَا أَكْبَرُ}، =المجرّات والأجرام الكبيرة=؛ {إِلَّا}، =ذلك كلُّه عند الله سبحانه وتعالى= {فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}، [سبأ: ٣].





فالإحسانُ من الله، وعلمُه المحيط بمخلوقاته، يجعلُ العبدَ المؤمن إذا نظر إلى الآلهةِ الأخرى فيجدها لا تساوي شيئا، ولم تُجْدِ نفعًا، ويستقرُّ في قلبه، ويشهد بجنانه بعبادة الله وحده، وأنه المتفرّد ﷻ و**المستحقُّ العبادة**، قال ﷻ:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، [البقرة: ٢١]، وقال ﷻ نقلا عن أحد أنبيائه ﵇:

{وإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [آل عمران: ٥١]،

وفي سورة الفاتحة:

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، [الفاتحة: ٥]، يعملنا الله ﷿ أنّ العبادة له وحده، فقال:

{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ}، =هذا الذي يستحق العبادة= **{إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}**، [فصلت: ٣٧].

***

- **ثبوتُ صفةِ البصرِ والسمعِ** له ﷻ:

١٤- وَيُبْصِرُ ذَرَّاتِ الْعَوَالِمِ كُلَّهَا   وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ



الشرح:

إنّه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يُبصرُ ذرَّاتِ العوالمِ كلِّها، ويسمعُ مكوِّناتِها مهمَا خَفَتَت الأصوات أو ارتفعت.

فيبصرُ كلَّ شيءٍ مهما صغُر وخفِي، قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، [الأنعام: ١٠٣]، وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

{هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}، [آل عمران: ١٦٣]، وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}، [الإسراء: ٣٠]، وكلمة البصير، وردت في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرَّة، قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، [آل عمران: ٥]، وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}، [العلق: ١٤]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ:



{**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**}، [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

وفي هذا البيت يثبت الناظم $ صفةَ السمع لله ﷻ، فقال: وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ، **فهو يسمع دبيبَ** النملةِ السوداء، على الصخرةِ الصماءِ، في الليلة الظلماء، يبصرُها ويراها ويسمعها، ويسمع دبيبَها، قال ﷻ:

{**سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**}، [الرعد: ١٠]، وقال ﷻ:

{**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**}، [آل عمران: ١٨١]، وعَنْ عَائِشَةَ ڤ، قَالَتْ:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي **وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ**، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ)، =يعني لا أمتار كثيرة بينهما وعائشة تسمع،= (فَأَنْزَلَ اللَّهُ:



{**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**})، [المجادلة: ١]،(١)، والآية بتمامها: {**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**}، [المجادلة: ١].

إذن؛ صفة السّمع من الله عَزَّوَجَلَّ سمْعٌ لا يجاريه سمعٌ، **مهما** كانت أجهزةُ السماعات، **والأشياء** التي يضعونها، هذه لا تساوي شيئا بجانب سمْعِ الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}، [البقرة: ١٨١]، فالاسم سميع، ورد أكثر من عشرين مرة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذا **السمع** الذي هو موجود اليوم، لو حدثتْ أصوات في الخارج، لو مرّت سيارةٌ من الجرافات الضخمة لشوشت علينا، وتشوّش على أسماعنا، وهذه الأجهزةُ تشوّشُ عليها أجهزة أخرى، لكن سبحان الله، ولا تختلط عليه الأصوات؛ فلو اجتمعت الكائنات كلُّها مرةً واحدة، فتكلَّمت في آنٍ واحدٍ بلغاتها المختلفة، ودعواتِها المتنوعة، وطلباتٍ شتَّى؛ لسمِع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جميعهم، ولبّى مطالبهم، واستجاب دعواتهم، لا يشغله سَمْعٌ عن سمْع، ولا صوتٌ عن صوت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) (جة) (١٨٨) (س) (٣٤٦٠)، (حم) (٢٤١٩٥).



ويشهد ﷻ ويطلع على كلٍّ مِن خَلقه بما عمل، فكلُّ أعمالِ الخلائقِ مطّلِعٌ ربنا ﷻ عليها، الأعمالُ الموجودةُ يراها، قال ﷻ:

{**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا**}، [النساء: ٣٣]، قال ﷻ:

{**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**}، [النساء: ١٦٦]، فجاء بالاسم؛ (شهيد)، وجاء بالفعل؛ (شهد ويشهد) ﷻ، وقال ﷻ:

{**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}، [آل عمران: ١٨]، والمنافقون قال عنهم:

{**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**}، [المنافقون: ١].

***

- **الله؛ إنه مالكُ الملك، الحكيمُ يشهدُ بذلك خلقه:**

١٥- لَهُ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الْمُحِيطُ بِمُلْكِهِ وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَى بِهَا الْخَلْقُ تَشْهَدُ

الشرح:

فالله ﷻ هو المالك المتصرف في هذا الكون بمفرده، وليس له مساعد ولا ظهير، ولا مساند ولا نصير، قال ﷻ:



{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}، [فاطر: ١٣].

ما معنى قطمير؟

وعندنا ثلاثة ذكرت في القرآن: **الفتيل والقطمير والنقير**، **فالفتيل**: هو الذي يكون في بطن النواة مثل الفتيلة، قال ﷻ: {**وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**}، [النساء: ٤٩]، وأما الذي تغلف به النواة الذي يكون كالورقة الضعيفة جدا، هذا الغلاف اسمه **القطمير**، وأما **النقير** فهو النقرة التي في ظهر النواة، نواة البلح، أو الرطب أو التمر، وهذه منها تنبت، فشجرة النخيل تنبت من هذه النقرة، ليس كحبة الفول، أو القمح أو الشعير من طرفها، بل من ظهرها،{**وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**}، [النساء: ١٢٤]، بهذه الثلاثة ضرب الله الأمثال أنه لا يظلم أحدا، ولو كان بهذا المقدار الضعيف، وقال ﷻ:

{**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**} [الزمر: ٦]

وقال ﷻ:

{**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، [المائدة: ١٧]، كل هذه من ملك الله ﷻ.

وأيضا له وحده الحمدُ والشكر، والثناءُ الحسن، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، [التغابن: ١].

كذلك الله محيط بخلقه وأعمالهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ}، [البقرة: ١٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: **{إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}** [آل عمران: ١٢٠] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: **{إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}** [هود: ٩٢]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: **{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ}** [فصلت: ٥٤]، هذه كلُّها وآيات أخرى كثيرة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.(١)

والخَلْقُ كلُّه يشهدُ **بحكمةِ** الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحكمتُه في خلقه وتدبيره، وأمره ونهيه، وتحريمه وتحليله، فكلُّ ما في الكونِ فبحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المستحقُّ للشكر والحمد في كل وقت وحين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ* حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ}، [القمر: ٤، ٥]، ووردت كلمة (حكيم) أكثر من تسعين مرة، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) من هذه الآيات قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}، [الإسراء: ٦٠]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا}، [الفتح: ٢١]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: {وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}، [الطلاق: ١٢]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}، [الجن: ٢٨].





{**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}، [آل عمران: ٦]، وقال ﷻ:

{**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**} [الرعد: ٢].

- وله ﷻ **صفةُ النزولِ كلَّ ليلةٍ نزولاً يليقُ بجلالِه:**

١٦- وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجى　　　كَمَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالحَقِّ أَحْمَدُ

الشرح:

ونقرُّ ونعترفُ ونؤمنُ ونشهدُ بأنّ اللهَ ﷻ، ينزل في آخر الليل، كما ثبت فيما ورد في الحديث الصحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(**"يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"**)، رواه البخاري ومسلم.(١)

---

(١) (خ) (١١٤٥)، (م) ١٦٨- (٧٥٨).





وفي رواية: ("... **مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكْشِفَهُ عَنْهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**")، رواه أحمد.(١)

وصفة نزوله ﷻ هي صفة تليق بجلاله؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

- **إرسالُ اللهِ الرسلَ ومعهم الآياتُ لهدايةِ الخلق:**

١٧- وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسْلَهُ بِآيَاتِهِ لِلْخَلْقِ تَهْدِي وَتُرْشِدُ

الشرح:

نشهدُ أنَّ اللهَ أرسلَ رسلاً، ثلاثمائة وبضعةَ عَشَرَ رسولاً والباقي أنبياء، وعدَّتُهم مائةٌ وأربعةٌ وعشرون ألفَ نبيّ، ذكرَ الله ﷿ مجموعة من الرسل بأسمائهم عدتهم خمسةٌ وعشرون اسما، والله أعلم.(٢)

---

(١) (حم) (٧٥٠٩)، (١٠٧٥٦)، ورواه (حب) (٩١٩)، قال الألباني: صحيح دون جملة الاسترزاق، ظلال الجنة: (٤٩٧).

(٢) قال ﷻ: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ}، [الأنعام: ٨٣- ٨٦]،





فالرسل أرسلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **لماذا أرسلهم؟**

لهداية خلقه وإرشادِهم، **فمن رحمته** بخلقه ما تركهم سدى، **وإنما أرسلَ إليهم رُسُلاً**؛ ليرجعوهم إلى الله، لأنّ اللهَ يعلمُ أنَّ الشياطينَ والأنفسَ المريضةَ والدنيا قد تَحيدُ بالإنسانِ عن إيمانه وتوحيده، فأعداء الإنسان؛ النفس والهوى، والشيطان والدنيا، وعدوُّ الإنسان المعروف من البشر أنفسهم.

فلذلك بعث الرسل، وكان آخرُهم محمدًا ﷺ فلم يبعث بعده رسولا، **فجعل** مكان الرسل لهذه الأمة العلماء، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا} [المائدة: ٧٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً}، [الرعد: ٣٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر: ٧٨].

فهؤلاء ثمانية عشر ويبقى سبعة هم: إدريس، هود، شعيب، صالح، ذو الكفل، آدم، وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليهم وسلم.



هؤلاء الرسل لم يرسلْهم هكذا؛ وإنما أنزل الله معهم **الآيات البينات** وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، [آل عمران: ١٨٤].

والزُّبُر جمعُ زابور، **فما معنى الزبر هنا؟** الكتب التي يُزْبَرُ فيها؛ أي: يكتب فيها، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ}، [المائدة: ٣٢]، والبيِّناتُ هنا في آيات متلوة مقروءة مدروسة، وآياتٌ أخرى مرئية محسوسة ملموسة، والمقصود هنا بالآيات الآيات المدروسة المقروءة كالقرآن الكريم.

وأرسلهم **للهدى والرشاد** وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، [الشورى: ٥٢]، هداية إرشاد وبيان، وليس هداية توفيق، فهداية التوفيق خاصة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، [إبراهيم: ٤]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}، [المائدة: ٩٢]. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:



{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}، [التوبة: ٣٣].

فوظيفة الرسل والأنبياء ﯪ وأتباعهم وورثتهم وهم العلماء، وظيفتهم الهداية والإرشاد، والبيان والبلاغ، ولا عليك إن وفقوا لهذا أم لم يوفقوا، وليكن همك أن يوفقوا، إنما عليك البلاغ.

وأما هداية الناس وتوفيقهم فهذه لله ﷻ، قال ﷻ:

{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}، [البقرة: ٢٧٢]، وقال ﷻ:

{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}، [النحل: ٣٧]، وقال ﷻ:

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}، [القصص: ٥٦]، ﷻ.

***

- **التفاضل بين الرسل ﯪ:**

١٨- وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسْلِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ   بِحِكْمَتِهِ جَلَّ العَظِيمُ الْمُوَحَّدُ

الشرح:



فاضَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين رسله ف، فالتفاضل بين رسل الله عَزَّ وَجَلَّ موجود، ونؤمن به، وهذا التفاضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبحكمته جلّت وتقدّست قدرته، وعظمت صفاته، فهو العظيم الذي تعبده وتوحِّدُه الخلائق، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} =فبأي شيء؟ قال:= **{مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}**، [البقرة: ٢٥٣]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}، [الإسراء: ٥٥]. فالزبور الذي آتاه الله لداود لم يؤته لغيره من الأنبياء، وهكذا كلُّ نبيٍّ عنده أشياء فُضِّلَ بها لا توجد عند النبي الآخر، وهذا التفضيل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحكمته.

***

- **فالخلق كلُّهم فاضَلَ اللهُ بينهم، وأفضلُ الخلق طُرًّا أجمعين هو النبيُّ محمد ﷺ:**

١٩- فَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَا ... نَبِيُّ الهُدَى وَالعَالَمِينَ مُحَمَّدُ

الشرح:

فالرسل أفضلُ الخلق، وأفضلُ الرُّسل؛ الخمسةُ أولي العزم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ} =بدأ به ﷺ مع أنه بعدهم= {وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}، [الأحزاب: ٧]، فقدم نبيّنا ﷺ عليهم مع أنه آخرهم زمنا، وهذا من باب التفضيل.

إذن؛ أفضل الرسل الخمسة هو نبينا محمد ﷺ، حيث أخذ ميثاق النبيين جميعا على الإيمان به ونصرته، قال ﷻ:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ}، =كلُّ نبيٍّ ما يعطيه من كتاب وحكمة=، {ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} =هو محمد ﷺ= {مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١]، فأقر الأنبياء جميعا على إيمانه ونصرته، فهو أفضلهم عليه السلام.

ومن تفضيله على الرسل أنّ كلّ نبي يبعثُ إلى قومه خاصة، أما هو ﷺ، قال عنه ﷻ:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: ٢٨]، وقال ﷻ:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷻ:





{تبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}، [الفرقان: ١].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ")، رواه مسلم.(١) وعَنْه ﵁؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

("فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ")؛ أي: ست صفات فُضِّل بها على الأنبياء، قال:

("أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ")، رواه مسلم.(٢)

وخصائصه ﷺ كثيرة أفردت في مصنفات، والله تعالى أعلم.

- **وخَصَّ الله** ﷻ **الصحابة** بالفضائل ووصفهم بأحسن الصفات كرامة لنبيِّه:

٢٠- وَخَصَّ لَهُ الرَّحْمَٰنُ أَصْحَابَهُ الأُلَى … أَقَامُوا الْهُدَى وَالدِّينَ حَقًّا وَمَهَّدُوا

---

(١) (م) ٣- (٢٢٧٨).

(٢) (م) ٥- (٥٢٣).



الشرح:

فالصحابة رضي الله عنهم أيضا، لا نفرق بين أحد منهم، فضّل الله بعضهم على بعض، منهم الأربعة الخلفاء، هؤلاء في المقدمة، والعشرة المبشرون بالجنة، وآل البيت، والسابقون من المهاجرين والأنصار، والمؤلفة قلوبهم، ومنهم النساء والأطفال، **والصحابة**؛ هم كلُّ من عاصر النبي ﷺ ورآه أو جالسه، وآمن به، ومات على ذلك رضي الله عنهم ورضوا عنه، قال ﷻ في صفاتهم:

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، [التوبة: ١٠٠]، ووصفهم في آخر سورة الفتح بقوله:

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ





اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}، [الفتح: ٢٩]، ووصفهم ﷻ في آية أخرى بقوله:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، [الحشر: ٨، ٩]، وكلُّ هذه الآياتِ تبيِّن تفضيلَ اللهِ ﷻ لأصحابِ النبي ﷺ، وتفضيلَ بعضهم على بعض، فهم أفضلُ الأمّة، وبينهم من هو أفضل من الآخَر، كما فضّلَ اللهُ بعضَ النبيين على بعض.

فمنهم، أي: الصحابة **رضي الله عنهم** من رآه لحظة، لمرة واحدة في حجة الوداع، فانضمّ إلى قوافل الصحابة **رضي الله عنهم** أجمعين.

وكان على أيديهم هدايةُ من اهتدى فيما فتحوا من البلدان، فـ **رضي الله عنهم** وأرضاهم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ؓ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:





(«**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»)، رواه البخاري ومسلم.(١)

***

- **عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ حبُّ آلِ البيتِ النبويِّ وسائر الصحابةِ من الإيمان:**

٢١- فَحُبُّ جَمِيعِ الآلِ وَالصَّحْبِ عِنْدَنَا   مَعَاشِرَ أَهْلِ الْحَقِّ فَرْضٌ مُؤَكَّدُ

الشرح:

في هذا البيت انفرد به ليتكلَّمَ عن الصحابةِ **رضي الله عنهم** وحقِّهم علينا وواجبُنا نحوهم، فيجب علينا أنْ نُحبَّهم جميعًا بلا تفضيل، نحبُّ الجميع، لكنَّ التفضيلَ فيما فضله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فجميعُ آلُ بيتِ النبيّ ﷺ، والصحبِ من صحبه، كلُّهم عندنا؛ يقصد عند معاشر أهل السنة والجماعة، معاشر أهلِ الحقِّ، حبهم فرضٌ مؤكّد، فمن أبغضهم الصحابة **رضي الله عنهم** ومن كرههم أو سبَّهم، أو شتمهم فليس من أهلِ الحقِّ، بل هو من أهل الباطل.

---

(١) (خ) (٣٦٧٣)، (م) ٢٢٢- (٢٥٤١).



فحبهم فرضٌ، **وعلامةُ** الإيمان، **وبغضُهم** علامةُ النفاق، **خصوصًا** الأنصار **رضي الله عنهم**، **وهم** أهل المدينة، الذين نصروا النبي ﷺ وآووه، وآووا المهاجرين، إنهم الذين **رضي الله عنهم** ورضوا عنه، فهؤلاء الأنصار من الصحابة **رضي الله عنهم** حبُّهم إيمان، وبغضهم نفاق، كما جاء في بعض الأحاديث، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

(«**آيَةُ الإِيمَانِ**")؛ =أي: علامته= (**"حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»**)، رواه البخاري وسلم.[1]

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ سبحانه وتعالى:

{**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**}، قَالَ ﷺ: (**"إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"**)، رواه الترمذي وابن ماجه.[2]

فحبُّهم إيمانٌ وواجبٌ وفرضٌ، وذلك لما ساهموا بأموالهم وأنفسهم، وأهليهم في سبيل الله، وفي نصرة نبيهم، ونصرة هذا الدين، ونشروا الإسلام إلى بقاع الأرض، فحُقَّ لهم أن يُحَبُّوا وأن يشكروا على ذلك.

---

(١) (خ) (٣٧٨٤)، ونحوه عند (م) ١٢٨- (٧٤).

(٢) (ت) (٣٠٠١)، (جة) (٤٢٨٨)، وحسنه الألباني في هداية الرواة: (٦٢٤٩).

***

وعَوْدًا على بَدْءٍ، يعود المؤلف $ بالكلام على **صفة الكلام**، فإننا نجد أن الشيخ $ في منظومته لم يرتب الأمور مع بعضها، يجعلها مواضيع، فكأنك في حديقة؛ يتنقل بك من الزهرة إلى زهرة أخرى، ومن ثمرة على أخرى.

فمن الكلام على **الصفات**، انتقل إلى **النبي** ﷺ، **وآل البيت والصحابة رضي الله عنهم**، ثم رجع إلى **الصفات** حتى لا يُنسَى هذا الأمر، فلعلَّه لحكمة أرادها هو $.

- **ونؤمن بصفة الكلام لله لفظاً ومعنىً:**

٢٢- وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كَلَامَهُ هُوَ اللَّفْظُ وَالمَعْنَى جَمِيعًا مُجَوَّدُ

الشرح:

ومن قول أهل الحقِّ أنّ كلامَه؛ أي: كلامُ اللهِ ﷻ، هو اللفظ والمعنى جميعا مجوَّد، وكلامُ الله عند أهل السنة والجماعة، -حشرنا الله معهم، وهدانا لأنْ نَسيرَ على طريقهم، الكلام من الله- بلفظه ومعناه من الله ﷻ، فهو





يتكلم ﷻ متى شاء، وقتما شاء، كيفما شاء، سَمِعَهُ موسى عندما قال الباري له:

{إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى* وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}، [طه: ١٣، ١٤]، لا يمكن كما يقول بعض الناس: إنّ هذا الكلام خلقه الله في الشجرة، وأن نقول: كلام الله مخلوق، خلقه في الشجرة.

هل الكلام المخلوق يقول: إنني أنا الله؟ فهل نعبد مخلوقا يقول: إنني أنا الله، هذا غير صحيح.

فالصحيح أنه كلامُ الله سمعه موسى عليه السلام؛ لأن هؤلاء يتصوَّرون أنّ الكلام لا يكون إلاّ بحنجرة، وحبال صوتية، ولسانٍ وفمٍ وشفتين، **حتى** تخرج الحروف، **وهذا** في مفهومنا **وحسب** عقولنا نحن البشر، لكن الله **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**، [الشورى: ١١].

هناك عندنا أشياء تتكلَّمُ الآن، **وليس** لها مثل هذه الأمور؛ كالأجهزة الحديثة من لاقطات أصوات وصور وألوان، هذه ليس لها حنجرة، ولا حبال صوتية، ولا لسان وفم وشفتين، **لكنها** تتكلّم معك، بدون أن تقول: يجب أن يكون لها كذا وكذا.



فلا تنفي صفة الكلام عن الله ﷻ، وإن لم نعلم كيفيته، قال ﷻ:

{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}، [النساء: ١٦٤]، وقال ﷻ:

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ...}، [الأعراف: ١٤٣].

وكلّمَ اللهُ ﷻ نبيَّنا محمد ﷺ كفاحًا ليلةَ الإسراء والمعراج، وكلَّم سائرَ أنبيائه ﴿ وحيا أو من وراء حجاب، قال ﷻ:

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}، [الشورى: ٥١].

والقرآنُ المجوّد؛ هو المحكَمُ المتقَنُ من كلام الله، محكَمٌ في أحكامِه ومعانيه، ومجوّدٌ بالأصواتِ ومسطَّر في المصاحفِ هو كلامُه، قال ﷻ:

{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}، [الكهف: ١٠٩]. وقال ﷻ:

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ}، =تخيّل؛ لو كان كلُّ الشجر الذي في الأرض، وفي الغابات حولنا عيدانه إلى أقلامٍ تكتُب، وجئنا بالحبر والمداد، قال:= **{وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ}**؛ =أي: كلُّها تتحوّل إلى حبر= **{مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}**؛ =لأنه ﷻ يتكلَّمُ متى شاء، كيفما شاء ﴿، فلم يتكلم قديما دفعة واحدة ثم سكت بعدها، ﷻ!



لا! بل لم يزَلْ متكلِّمًا، هذه عقيدتنا في كلام الله، وأنه صفة من صفاته، وصفات الخالق غير مخلوقة، ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾، [لقمان: ٢٧].

***

- **القرآن الذي بين أيدينا كلامُ الله ليس بمخلوق**، بل هو صفة من صفاته:

٢٣- وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَأَنَّى لِخَلْقِهِ ... بِقَوْلٍ كَقَوْلِ اللهِ إِذْ هُوَ أَمْجَدُ

الشرح:

فالخَلْقُ شيء، وقولُه وأمرُه وكلامُه شيء آخر، **فالتفريق لازمٌ** بين هذا، الخلق مخلوق، والأمر كلام من الله، كما فرق بينهما الله، قال ﷻ:

﴿... **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾، [الأعراف: ٥٤]، ففرق بين الخلقِ والأمر، فكلُّ أوامرِ اللهِ كلامٌ منه ﷻ، وهي غير مخلوقة، قال ﷻ:

﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾، [النساء: ١٦٤]، قال ﷻ:

﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، [الأعراف: ١٤٣].

بعض الذين لا يؤمنون بكلامِ الله ﷯ بأنه صفة من صفاته، جاء عند أحدِ القرَّاءِ الذين يكتبون القرآن بالقراءات، فقال له عندما وصل إلى قوله ﷻ: {**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**}، قال اقرأها بالفتح عند قوله: {الله}، ما الفرق بين الجملتين؟

وفي القرآن {**كلَّمَ اللهُ**}، من المتكلم؟ الله، هو يريدها {**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى**}، من المتكلم؟ موسى حتى يفرَّ من أنَّ اللهَ متكلِّمٌ، فقام هذا القارئ فقال: هب أني فعلت ذلك هنا، فما تفعل في قوله: {**وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**}، فانقطع الرجل، وهذه لا تحتاج تقديم وتأخير.

وهل يجوز لمخلوقٍ يقول: إني أنا ربك؟ أو يقول: إنني أنا الله فاعبدني وصلِّ لي؟ كما استمعنا في الآيات، سمع الصوت من الشجرة، قال ﷻ:

{**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى* وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**}، [طه: ١١- ١٤].

ولا يستطيعُ واحدٌ منفردًا أو جماعةً، أو حتى لو اجتمعت عباقرة الجن والإنس فهل يقدرون على تأليف مثل القرآن أو سور أو آيات منه؟ لا يستطيعون ولا يقدرون، قال ﷻ:





{**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**}، [الإسراء: ٨٨]، ثمّ تدرَّجَ بالأمر، وتنازل عن الإتيان بمثله إلى طلبٍ أقلّ، عشر سور مثله، قال:

{**قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}، [هود: ١٣]، وتنازل إلى أن أمرهم أن يأتوا بسور، وأقصر سورة في القرآن مكونة من ثلاث آيات، قال ﷻ:

{**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}، [البقرة: ٢٣]، سورةٌ من ثلاثِ آياتٍ، هذا أقلّ السوَرِ عددًا عندنا، عجيبٌ سورة كهذه فيها الأحكام، **وفيها الأمور** التي فيها يعجز الإنسان عن الإتيان بمثله ولا يستطيع!

والقرآن إِذْ هُوَ بهذه الصفات؛ أَمْجَدُ، قال ﷻ: {**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**}، [ق: ١]، قال ﷻ:

{**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**} [البروج: ٢١، ٢٢]، فوصف القرآن بالمجد؛ أي: بالسَّعة، لسَعَةِ أوصافه، الكاملةِ الجليلةِ العظيمة، فالقرآن كلام أمجد وأعظم وأوسع وأكبر من أن يأتي أحد بمثله.

***





- **والقدَرُ خيرُه وشرُّه من الله ﷻ:**

٢٤- وَنَشْهَدُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ ... بِتَقْدِيرِهِ وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَيَجْهَدُ

الشرح:

فالإيمان **بالقدر** ركنٌ مهِمٌّ في حياة العبد المؤمن، [والفرق بين القدر والقضاء، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها].(١)

[والقَدَرُ والقَدْرُ أيضاً: ما يقدره الله ﷻ من القضاء].(٢) قال ﷻ: {**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**}، [القمر: ٤٩]، وقال ﷻ: {**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**} [الأحزاب: ٣٨]، فعندما يوقن العبدُ بأنّ الخيرَ والشرَّ بتقدير الله، ولحكمةٍ أرادها الله، يستريحُ لقضاء الله، ويرضى بما قسمَ الله، فما عليه إلاَّ أن يسعى ويجتهد، وأنْ يصيبَ من الخيرِ المقدّر، ويجتنب قدر طاقته واستطاعته الشرّ المكروه شرعا وطبعا، فهذا كله ابتلاء، فالمطر لا ينزل إلا بقدر، قال ﷻ:

---

(١) التعريفات (ص: ١٧٤).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٧٨٦).



{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}، [الحجر: ٢١] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}، [الأعلى: ٢، ٣]، فهذا كلُّه من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فالقدرُ يجب على المؤمن أن يؤمن به، وأن يستسلم له؛ سواءً رضي أو لم يرضَ، يمكن يكره هذا الشيء، ولا يحب هذا الشيء الواقع عليه؛ كالألم، وموت الولد، هذا قدر الله، لكنّ الإنسان يكرهه، لكن لا بد أن يرضى به، ولو كرهه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}، [الأنبياء: ٣٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}، [المائدة: ٤٨]،

ابحث عن الخير واسعَ عمّا هو فيه، وعندما جاء عرش بلقيس إلى نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في لحظة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} =هو خيرٌ؛ لكنّه ابتلاء= {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}، [النمل: ٤٠].



ففي هذا البيت إرشاد للإيمان؛ أي يرشدك لتؤمن بالقدر الذي يتضمن أمرين: الأمر **الأول**: **الإيمان بالقدر** خيره وشره، وأن هذا من اللهِ ﷻ، **الثاني**: **السعي والاجتهاد** في الأخذ بالأسباب التي وضعها الله للعباد، تؤمن وتسعى، هذا الذي يتضمنه البيت.

***

- **الإيمانُ يشملُ القولَ والعملَ والنية:**

٢٥- وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ مِنَ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقَيِّدُ

الشرح:

فالإيمان؛ حتى يتحقَّقَ كمالُه للعبد، لا بدَّ أنْ تتحقَّقَ فيه خمس نونات، وهذه حتى يحفظها الطالب، وأنا حفظتها من **شيخنا الشيخ/ حمَّادُ الأنصاري** $، والمقصود بالنونات؛ هي التي تنتهي خمسُ كلماتٍ بحرف النون، كما قاله شيخنا حماد الأنصاري $:

الإيمان؛ اعتقاد **بالجنان**، وقول **باللسان**، وعمل **بالأركان**، يزيد **بطاعة الرحمن**، وينقص **بطاعة الشيطان**.



هذه الخمس نونات، إيمان واعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان، هذا عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، والعمل نفسه يكون إيماناً.

فالصلاة عملٌ، وسماها الله نفسه إيمان، قال ﷻ:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}، =الكلام موجهٌ للصحابة **رضي الله عنهم**، الذين كانوا يصلون متجهين إلى القدس والأقصى، يصلون إلى جهةَ الشمال، ثم جاءت الآيات وصرفت هذا الوجه ونسخته، إلى البيت الحرام، فقالوا: ما نفعل في صلاتنا الأخرى التي كانت إلى الأقصى، والآن أصبحت إلى المسجد الحرام، **فهل هي باطلة؟** فقال: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}**، [البقرة: ١٤٣]،

فعمل الْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا مقيَّدٌ بالنية والإخلاص فيها، فليس أيَّ عمل تقومُ به يقبل، وإن أحسنت فعله! لا بدّ أن يكون معه النية، قال ﷻ:

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}، =هذا العمل= **{مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}**، =وهذه هي النية=، **{حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**، [البينة: ٥]، فلا بدّ من الاجتهاد والسعي مع الإيمان، قال ﷻ:





{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ،} =يعني يؤمنُ ولا يعمل، يؤمن وينام، لا يقبل منه، فلا بدَّ من=؛ {وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، =إذن مع الإيمان لا بدّ أن يكون سعي=، {فَ} =المؤمنون العاملون=، {أُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}، [الإسراء: ١٩].

- **الإيمانُ يزيد بالطاعات وتنقصه المعاصي:**

٢٦- وَيَزْدَادُ بِالطَّاعَاتِ مَعْ تَرْكِ مَا نَهَى ... وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ جَزْمًا وَيَفْسُدُ

الشرح:

يعني ربما يعمل العبد طاعاتٍ كثيرة، لكن لا ثوابَ لعمله هذا ولا أجر، وذلك لكثرة المعاصي، حتى لا تبقى له حسنة، فيكون كأن لم يفعل طاعة، بكثرة المعاصي وقلّة الطاعات.





وزيادةُ الإيمان ونقصانه واضحة، يشعر بها العبد المؤمن، الإنسان إذا فعل خصلةَ خيرٍ وجدَ لها حلاوةً في قلبه ولذّة، فيحسُّ بأن إيمانه قد زاد، وعليها الدلائل من نصوص الوحيين، قال ﷻ:

{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}، =كالمنافقين ونحوهم=، **{فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}**، [التوبة: ١٢٤- ١٢٦].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**"ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"**)، رواه البخاري ومسلم واللفظ له.(١)

إذن؛ فعدّاد الطاعاتِ في زيادة إلى أعلى، وعدّادُ السيئات في نقصان إلى أسفل، فلذلك هذه الآيات إذا قرأها الإنسان وعمل بها فحسناته تزداد إلى أعلى، أما إذا لم عمل بها وأنكرها فإلى أسفل، رجسا إلى رجسهم، قال ﷻ:

---

(١) (خ) (٦٩٤١)، (م) ٦٧- (٤٣).





{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا...}، [المدثر: ٣١]، وقال ﷻ:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، [الأنفال: ٢].

ثبت أنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ **رضي الله عنهم** قَالَ: (كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا، فَنَقْتَرِبَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَنَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ)، فَقَالَ:

("إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً")، رواه مسلم.(١)

ومن دعاء الصحابة؛ ما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: (اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقِينًا وَفِقْهًا). السنة لعبد الله بن أحمد والمعجم الكبير للطبراني وشعب الإيمان للبيهقي.(٢)

فاللهم زدنا إيمانا ويقينًا وفقها، **اللهم** آمين!

***

• الإيمانُ باليوم الآخر:

٢٧- نُقِرُّ بِأَحْوَالِ القِيَامَةِ كُلِّهَا ... وَمَا اشْتَمَلَتْهُ الدَّارُ حَقًّا وَنَشْهَدُ

---

(١) (م) ٢٧٩- (٦٦٤).

(٢) (السنة لعبد الله بن أحمد) (٧٩٧)، (طب) (ج٩ ص١٠٥ ح٨٥٤٩)، (هب) (٤٦)، وصححه الحافظ في الفتح (١/ ٤٨).



الشرح:

يومُ القيامةِ آتٍ لا محالة، ولا يعلم أحدٌ متى هو؟ إلا هو ﷻ! قال ﷻ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ}؛ =أي: لا شك في مجيئه فهو آتٍ لا محالة= {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}، [النساء: ٨٧]، قال ﷻ:

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}، [الإسراء: ١٣، ١٤].

ونؤمن ونقرُّ بما في يوم القيامة؛ من البعثِ والنشور، والخروجِ من الألحاد والأجداث، حفاةً عراةً غُرلا، قال ﷻ:

{مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}، [إبراهيم: ٤٣].

ونقرُّ بالموقف العظيم بين يدي الله رب العالمين، ونؤمن ونقر بالعرضِ والميزان، والصراطِ، والجنةِ والنار، وأنواعِ النعيم، والدرجاتِ العاليات في الجنات.

والاستقبالاتُ والحفاوات، والتحياتُ والتكريمات؛ لأهل الجنان، **فنسأل الله** أن نكون قد كُتِبْنا من أهل الجنان لا من أهل النيران، اللهم آمين.





ونؤمن بالنار وما فيها من الأهوال وأصنافِ العذاب، ودركاتِ النيران، وغير ذلك من الشدائد، لأهل النيران، نعوذ بالله أن نكون من أهلها طرفة عين، أو أقل من ذلك.

- **التفكُّرُ في مخلوقاتِ اللهِ ﷻ يقوّي الإيمانَ ويزيدُه:**

٢٨- تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ وَمَا حَوَتْ ممَالِكُهُ العُظْمَى لَعَلَّكَ تَرْشُدُ

الشرح:

من آثار قدرةِ العظيمِ ﷻ؛ الحياة والماء الذي تحيا به الأرض، قال ﷻ:

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، [يونس: ٢٤]، فالتفكُّرُ في مثل هذه الآياتِ يقوّي الإيمانَ ويزيده.

وكذلك التفكُّرُ في آياتِ السماوات السبع وما فيهنّ، والشمس والقمر والنجوم والكواكب، هذه السماوات قال عنها الله:

{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ





لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}، [الرعد: ٢]. وقال ﷻ في الأرضين السبع وما فيهن من جبالٍ وفجاج، وبحارٍ وأنهار، وصحاري وغابات، وزروعٍ وأشجار، وإنسٍ وحيوان، إلى غير ذلك، قال:

{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، =هذا المقصد يحثنا الله ﷷ على التفكر في آيات الله، ثم بين الأرض وجغرافيتها وبيولوجية الأرض فقال ﷻ=:

{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، [الرعد: ٣، ٤].

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ **رضي الله عنهم** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("**تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ** -يَعْنِي عَظَمَتِهِ- **وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ**")، رواه الطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي في الشعب.(١)

---

(١) (طس) (٦٤٥٦)، (هب) (١٢٠)، ورمز له في صحيح الجامع (٢٩٧٥): (أبو الشيخ طس عد هب) عن ابن عمر. وحسنه لشواهده في الصَّحِيحَة: (١٧٨٨).



وفي رواية عَنْ عبد الله ابن سلام رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (**"تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ عز وجل"**. رواه أبو نعيم في الحلية.(١)

- **آيةُ الليلِ المظلمةُ يتبعها نورُ الصباحِ المشرق:**

٢٩- أَلَمْ تَرَ هٰذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا ... فَأَعْقَبَهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ

الشرح:

انظر أيها الإنسان! وتفكّرْ في هذا الليل عندما يأتي بحَنادِسه وظلماتِه، فيجتاحُه صبحُ النهار بضيائه ونورِه وإشراقتِه، فالليل والنهار مكوّران، كلُّ واحد يكمِّلُ الآخر، فلا تجدهما يجتمعان مع بعضهما أبدًا في هذه الساعة يكون ليل ونهار، لا يمكن إلا كلٌّ مقابل للآخر بقدرة الله، قال سبحانه وتعالى:

{**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**}، [الزمر: ٥]، فإذا وُجِد الليل يذهب النهار، وإذا وُجِد النهار مُحِيَ الليل، قال سبحانه وتعالى:

---

(١) (حل) (ج٦/ ص٦٦)، صَحِيح الْجَامِع: (٢٩٧٦)، ورمز له (حل) عن ابن عباس، فالعزو لابن عباس ڤ وهم، انظر غير مأمور تحقيق ذلك عند السخاوي في المقاصد الحسنة: (ص: ٢٦٠ ح (٣٤٢)، والشيخ أحمد بن محمد بن الصدِّيق أبي الفيض الغُمَارِي (المتوفى: ١٣٨٠هـ) في كتابه: المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي: (٣/ ٢٧٩- ٢٨١)، وانظر أيضا الصحيحة (١٧٨٨).



{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا} [الإسراء: ١٢]

ويبدأ بأنَّ **الليلَ يغطّي النهار، ويطلبه ويسرع في طلبه**، كما قال الله عزّ وجلّ:

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، [الأعراف: ٥٤].

ثمّ هناك مسألة أخرى في هذا الأمر، مسألة **الإيلاج**؛ أي: إدخالُ كلٍّ منهما في الآخر، إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، قال سبحانه وتعالى:

{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}، [آل عمران: ٢٧].

ثم يأتي **الشقُّ والفلْقُ**، قال سبحانه وتعالى:

{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}، [الأنعام: ٩٦].

ثم يأتي **السَّلْخُ**، وهو سلخُ النهار من الليل، قال سبحانه وتعالى:





{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ}، [يس: ٣٧].

فقد جعلهما الله عَزَّ وَجَلَّ يخلُف بعضهما بعضًا، ولا يأتيان معا أبدا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}، [الفرقان: ٦٢].

فلو تفكّرنا قليلا في آية الليلِ والنهارِ؛ لازداد إيماننا وخوفنا من الله، ورجاؤنا فيما عند الله.

***

- **آية الكون وما فيه من سماء ونجوم وكواكب ومجرات:**

٣٠- تَأَمَّلْ بِأَرْجَاءِ السَّمَاءِ جَمِيعِهَا كَوَاكِبُهَا وَقَّادَةٌ تَتَرَدَّدُ

الشرح:

والتأمُّل في السماء وأرجائها وجنباتها، وما فيها من كواكبَ ونجومٍ مضيئةٍ ومشرقة، وهذه النجوم نوعان؛ منها الثابتة ومنها السيارة، **الثابتة**؛ إذا رأيتها مغربًا في مكان، تراها صباحًا في نفس المكان، **السيارةُ**؛ تراها في وقت لا تراها في الوقت الآخر، تسير وتذهب، وهذه كلها **تزيّنُ السماء، وتحفظُها من الشياطين؛ مسترقي** السمع، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:





{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ}، [الصافات: ٦، ٧]. وقال ﷻ:

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}، [الحجر: ١٦]، وقال ﷻ:

{وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}، [فصلت: ١٢]، وقال ﷻ:

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}، [الملك: ٥].

وعن ثَقْبِها ظلامَ الليل، قال ﷻ:

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ* النَّجْمُ الثَّاقِبُ}، [الطارق: ١ - ٣]، أي: النجم الذي يثقُبُ بضيائه ظلام الليل.

ومنها فائدة أخرى غيرَ **تزيينِ** السماء، **وحفظِها** من الشياطين ورجمها؛ أنها **يَهتدِي بها المسافرون ليلا**، قال ﷻ:

{وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}، [النحل: ١٦]، فيعرفون دَرْبَ التَّبَّانَةِ، وسهيلاً والثريا، وما شابه ذلك، فيعرف أنه يسير إلى الطريق الذي يفيده أم لا.



***

- **واستحالة وجود هذا الكون بهذا النظام والتدبير صدفة:**

٣١- أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ مُتَصَرِّفُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَاحِدٌ مُتَفَرِّدُ

الشرح:

أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ؛ أي: خالقٌ مُتَصَرِّفٌ؛ أي: منفردٌ في التصرف؟!

أيعقل ألاّ يكون لهذا الكون ولهذا الخلق، المليْءِ بأعجبِ العجائب، وأغربِ الغرائب، أيعقل ألا يكون له محدِثٌ وخالق وموجد؟

أيعقل ألا يكون لهذا الكون متصرِّفٌ مدبِّرٌ؟ دبَّرَه بحكمته، وأوجده بعمله وقدرته، واحدٌ لا شريك له، ومتفردٌ بخلقه وصنعته، لا مساعد له ولا ظهير ولا نصير.

بلى! إنَّ له خالقًا ومتصرفًا هو الله جَلَّ جَلَالُهُ، وتقدَّست أسماؤه وعلَت صفاته، فـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما أعظم شأنه! قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}، [إبراهيم: ١٩، ٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ* أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً



فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ* أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، [النمل: ٥٩- ٦١]. وقال سبحانه وتعالى:

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، [الأعراف: ٥٤].

بل بالفطرةِ تجدُ أنّ الإنسانَ إذا خلَصَت فطرتُه من الشوائبِ والمؤثراتِ الخارجية؛ الموروثة من أيام الآباء والأجداد، ومعتقداتهم خلَصَ إلى توحيدِ الله عز وجل والاعتراف به.

قال أعرابيٌّ عندما سئل كيف عرفت ربك؟

فأجاب: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فأرض ذات فجاج، وبحار ذوات أمواج، وسماء ذات أبراج، ألا تدلّ على العليم الخبير؟!(١)

(١) [قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَأَثَرُ الْأَقْدَامِ عَلَى الْمَسِيرِ، فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ؛ هَلَّا تَدُلَّانِ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ]. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية لأبي سعيد الخادمي الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ): (١/ ١٩٣).





ونحو هذا الكلام ما نقله ابن الجوزي $ فقال: [وما أحسن مَا قَالَ بعض العرب: إنّ البعرةَ تدلُّ عَلَى البعير؛ فهيكلٌ علويٌّ بهذه اللّطافَةِ، ومركزٌ سفليٌّ بهذه الكثافةِ؛ أمَا يدلان عَلَى اللطيف الخبير!).(١)

بلى إنهما يدلان!

- **حقًّا لهذا الكون خالق متصرف:**

٣٢- بَلَى وَالَّذِي بِالحقِّ أَتْقَنَ صُنْعَهَا وَأَوْدَعَهَا الأَسْرَارَ للهِ تَشْهَدُ

الشرح:

وهذا البيت فيه الجواب عن التساؤل في البيت السابق، الجواب عن السؤال المسبوق بالنفي: (أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ مُتَصَرِّفٌ ...)، فإن قلت: نعم! فيكون ليس له محدثٌ ولا متصرفٌ؛ لأن السؤالَ إذا كان مبتدأً بالنفي لا بد أن يكون مبتدأُ الجواب بالنفي، ونفي النفي إثبات، فلا بد لجوابه أن يسبق بالنفي، فقال الناظم:

(بَلَى وَالَّذِي بِالحقِّ أَتْقَنَ صُنْعَهَا)، وكأنه قال: بلى والله، ونفي النفي إثبات، فهو الذي أتقن صنع كلِّ شيء، قال ﷻ:

---

(١) تلبيس إبليس (ص: ٤٠).





{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً}، =أي: واقفة لا تتحرك= {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}، [النمل: ٨٨].

وَأَوْدَعَ تلك المخلوقات أَسْرَارًا وخفايا تَشْهَدُ للهِ، وتدلُّ على أنه واحدٌ أحَد، متفرِّدٌ بصفاتِ الجمال والجلالِ والكمال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **وفي الأرض آيات تنفع الموقنين، ولا تنفع الجاحدين**، قال الناظم $:

٣٣-	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ مُوقِنًا	وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ

الشرح:

فالموقنون؛(١) هم الذي ينتفعون بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأرضُ بكمالها وما فيها من مخلوقاتٍ وآياتٍ وحجَجٍ وبراهين، كلُّها تدلُّ على وحدانيَّةِ الله جَلَّ جَلَالُهُ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

---

(١) قال الجرجاني: [اليقين: في اللغة: العلم الذي لا شك معه، وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال ...]، التعريفات (ص: ٢٥٩)، وقال زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ): [الْيَقِين؛ لُغَة طمأنينة الْقلب على حَقِيقَة الشَّيْء، وَاصْطِلَاحا؛ اعْتِقَاد جازم لَا يقبل التَّغَيُّر من غير دَاعِيَة الشَّرْع]. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص: ٦٨).





{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}، [الذاريات: ٢٠، ٢١].

فالآيات تنفع الموقنين، ولكنها لا تنفع الجاحدين ولو جئتهم بكل آية؛ قال ﷻ:

{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ}، [العنكبوت: ٤٩].

فالجحود والنُّكرانُ، وعدم الإيمان يفقدُ الإنسانَ ذا السمعِ والبصرِ والعقل؛ يفقدُه التفكيرَ الصحيح، والتدبُّرَ السليم، قال ﷻ:

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، [الأحقاف: ٢٦].

ها هم آل فرعون جاءهم موسى عليه السلام بآياتٍ عديدة، لكن كما قال ﷻ:

{وَجَحَدُوا بِهَا}، =إذن هم مؤمنون مستيقنون بها لكن هناك جحود، فالذي جعلهم يكفرون هو الجحود، {وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}، [النمل: ١٤].





فالجاحدون عن آيات الله معرضون، كما قال الله ﷻ:

{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}، [يوسف: ١٠٥].

- **وكذلك هناك آيات في الإنسان نفسه، ابن آدم،** قال:

٣٤- وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَائِبٌ   بِهَا يُعْرَفُ اللهُ العَظِيمُ وَيُعْبَدُ

الشرح:

كما قال سبحانه وتعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}**، =عجيب من نفسك أنت من لحمك ودمك، يُخْرِجُ لك زوجةَ تختلفُ عنك في أمور اختلافا كثيرًا، وتتَّفِقُ معك في أمور أخرى اتفاقًا كثيرًا، إنها آيةٌ من آيات الله=، **{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**، [الروم: ٢١]. وقال سبحانه وتعالى:

{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}، [الذاريات: ٢٠، ٢١]، فالإنسان مخلوقٌ معتدلُ القامة، لا يمشي على بطنه، ولا على أربع، وليس له ذيل، ولا كِبَرَ في الأذنين أو طول، ولا تشبهُ صورته الحيوانات ونحوها،= قال سبحانه وتعالى:

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: ٤].





وكل هذه الآيات حتى يهتديَ الإنسان إلى عبادة ربه، التي من أجلها خلق، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}، [الذاريات: ٥٦- ٥٨].

***

- **شهادةُ الآياتِ بعظمةِ موجدِها وبألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

٣٥- لَقَدْ قَامَتِ الْآيَاتُ تَشْهَدُ أَنَّهُ إِلَهٌ عَظِيمٌ فَضْلُهُ لَيْسَ يَنْفَدُ

الشرح:

فسبحان الله! الآيات والمخلوقات دالة وشاهدة على عظمة خالقها وموجدها، عظيم الفضل والإحسان، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ}، [البقرة: ١٠٥]، ففضله يتجدد على عباده ولا ينتهي، وَجُودُه يزداد ولا ينقضي، وكرمه يتنامى ويكثر بالشكر والثناء، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، [النحل: ٩٦]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:





{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، [النحل: ١٨]،

قال سبحانه وتعالى:

{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، [الرعد: ٤].

آيات، تجد هذه طعمها حامض، ولونها أصفر، وتلك حلوة، ولونها أحمر، والماء واحد والتربة واحدة، ولونها أحمر أو برتقالي أو لونها أصفر، اختلاف في الثمار، وتجد الطعوم مختلفة، وكلُّها تَسُرُّ الأعينَ، وتلذُّها الأنفس، فسبحان الله رب العالمين. وقال سبحانه وتعالى:

{إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ}، [ص: ٥٤].

فهذه الآيات عند الله عز وجل عظيمة جدًا.

إذن ما عليك إلاّ أن تستسلِم لله، وتعبدَ الله عز وجل، فقد جاء في الحديث القدسي، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: وذكر الحديث، وفيه:

("... يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا





عِنْدِي؛ إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ")، =المخيط الإبرة؛ ضعْها في البحر، ليست ملعقة، وإنما إبرة! وانظر كم تأخذ من الماء؟!= (**"يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"**)، =لذلك أحدُ كبارِ التابعين، عندما يروي هذا الحديث يجثو=، (قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ)، رواه مسلم.(١)

جثا على ركبتيه؛ لأن هذا حديثُ رسول الله ﷺ، يتحدثُ عن كرم الله وفضله، وعظمته على خلقه سبحانه وتعالى.

***

- **أهلُ الإجابةِ هم أهلُ الله، ومن أعرض عن دعوة النبي ﷺ حُرِمَ سعادةَ الدارين:**

٣٦-	فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الْإِلَهِ أَجَابَهُ	وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّى وَأَدْبَرَ مُسْعِدُ

الشرح:

غرْسُ الإلهُ هم أناسٌ استخلصَهم الله لنفسه، واختارهم لعبادته، -نسأل الله أن نكون منهم- فقد قال سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام:

---

(١) (م) ٥٥- (٢٥٧٧).



{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، [طه: ٣٩]، وقال عَمْرَو بْنَ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(**"إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ"**)، قِيلَ: (وَمَا عَسَلُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؟!)، قَالَ ﷺ:

(**"يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ"**). رواه ابن حبان.(١)

وفي رواية أخرى عن صحابي آخر يقال له أَبُو عِنَبَةَ -قَالَ سُرَيْجٌ: وَلَهُ صُحْبَةٌ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(**«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، عَسَلَهُ»**)، قِيلَ: (وَمَا عَسَلُهُ؟!) قَالَ:

(**«يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»**)، رواه أحمد.(٢)

هناك قال: حتى يرضى عنه، وهنا قال: ثم يقبضه عليه، أي يختم له به.

وعسله في اللغة: أَيْ: طَيَّب ثَنَاءه فِيهِمْ.(٣) أي: في الناس وبين الناس.

وجاء عَنْ أَبِي عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيِّ أيضا رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) (حب) (٣٤٢)، الصحيحة: (١١١٤).

(٢) (حم) (١٧٧٨٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٣٧)، قال في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ): (١/ ٤٨٥): [وعَسَل الرجل: طيَّب الثَّناءَ عَلَيْهِ، عَن ابْن الْأَعرَابِي. وَهُوَ من العَسَل؛ لِأَنَّ سامعَه يلذُّ بِطيب ذكره].



("لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ")، رواه ابن ماجه وأحمد وابن حبان.(١)

وبعض الناس يصبغُهم الله ﷻ بالإيمان، يصبغهم لطاعته، قال ﷻ:

{صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}، [البقرة: ١٣٨]، وقال ﷻ: **{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}**، [المؤمنون: ١٤].

أمَّا مَن تولَّى وأَدبَر عن طاعة الله، وعن الإيمان بما تدلُّ عليه الآيات والمخلوقات، فليس له من السعادة نصيب ولا حظ، لا في الدنيا ولا في الآخرة، من هو هذا؟ قال ﷻ:

{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}، [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦]، وللمعرض الشدة في المعيشة، قال ﷻ:

{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}، [طه: ١٢٣، ١٢٤]، فالعذاب متحقق للمعرضين المكذبين، قال ﷻ:

---

(١) (جة) (٨)، (حم) (١٧٧٨٧)، (حب) (٣٢٦)، انظر الصَّحِيحَة: (٢٤٤٢).

{إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، [طه: ٤٨]،

فالتحذير من التولي والتكذيب والإعراض والإدبار؛ هذا أمرٌ مهمٌّ جدا، فإذا سمعتَ آياتِ اللهِ، وإذا سمعتَ أحكامَ الله ﷻ تقرأ من كتاب، أو قرأتها في منصَّة من منصات التواصل الاجتماعي ونحو ذلك، فكنْ عبدًا سميعًا مطيعًا.

وقارن بين ما تقرؤه أو تسمعه، لكن ليسَ كلُّ ما يُسمع أو يقرأ يُتَّخذُ دينا، فعندما تسمع؛ قال الله، وقال رسول الله، توقَّفْ، اسألْ، تبيَّنْ.

لا تبادرْ إلى إنكارِ ما قرأتَ أو سمعْتَ؛ لأنَّ الذي قاله **حليق!** أو لأنَّ الذي قاله **مبتدع**، أو لأنَّ الذي قاله **كافر** من صليبي أو يهودي، أو بوذي، أو ما شابه ذلك!!

لا! بل نأخذ هذه الآية، وهذا الحديثَ الصحيحَ أو الثابتَ، ونخضعَ له؛ لا نخضع للناقل، لكن نخضع لكلام القائل، والقائلُ هو الله ﷻ، والرسولُ ﷺ، لكنَّ الفهمَ العقيمَ للنّصِّ، ومعرفةَ الضئيلة في الفقهِ، فوضعت الأحكام في غيرِ موضعها.

فنشأ الشكُّ والتنفيرُ من الدين وما شابه ذلك؛ بآياتٍ وأحاديثَ، فليكن المسلم حذِرًا من هذا.



فحاول أخي المسلم! ألاَّ تسمعَ إلاَّ مِمَّن تثقُ به، وإلاّ؛ إذا قلتَ أريد أنْ أَرَى، أريد أنْ أختبر، أريد أن أرى ماذا يوجد عند النصارى مثلا، ماذا يوجد عند المبتدعة، ماذا يوجد عند الكفار، فربما ينالُك شيء يخرجك من الدين، أو شبهة تدخلُ إلى قلبك من حيث لا تشعر، ونسأل الله السلامة.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ")؛ =أَيْ: فَلْيَبْتَعِدْ عنه= **("فَوَاللهِ! إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ)، (فَلَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ)، (لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ")**، الحديث بزوائده عند أبي داود وأحمد.(١)

- **تقوى الله في فعل أوامره واجتناب نواهيه:**

٣٧- عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ ... وَتَجْتَنِبُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ وَتُبْعِدُ

الشرح:

(١) (د) (٤٣١٩)، (حم) (١٩٨٧٥)، (١٩٩٦٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، وانظر صَحِيح الْجَامِع: (٦٣٠١)، المشكاة: (٥٤٨٨).





على العبد أن يلتزم تقوى الله ﷻ، في كل زمان، وفي كل مكان، فيفعل ما أُمِر به، وينتهي عما نُهي عنه وزُجِر، فيأخذُ بما جاءه عن نبيّ الله ﷺ كما قال الله ﷻ:

{**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**}، [الحشر: ٧]، وهذه الآية تردّ على القرآنيين -زعموا-، الذين يقولون: لا نأخذ إلا بما في كتاب الله، لا من البخاري ولا من مسلم ولا غيرهما، ومع أن القرآن يقول: {**وما آتاكم الرسول فخذوه**}، كلّ ما آتانا النبي ﷺ من خير نأخذ به، حتى في الطبِّ والهندسة؛ إن وُجد من قوله شيء من هذا الشيء، وكذا في الزراعة وما شابه ذلك، نأخذه إن شاء الله ونؤمن به.

وما آتاكم الرسول فخذوه؛ خصوصا إذا كان في العقائد والغيبيات والدين ونحو ذلك.

وعلى العبد أن يتجنّبَ كبائرَ الذنوب وفواحشَها، كما قال ﷻ:

{**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**}، [النساء: ٣١]، لأن الإنسانَ غيرُ معصومٍ من الذنوب الصغيرة، لكنْ تستطيعُ أنْ تمنعَ نفسك من الذنوبِ الكبيرةِ، من الفاحشة، لذلك يُعفى





عنك من الصغائر التي تُتْبِعُها بالحسنات أو الاستغفار أو الذكر أو نحو ذلك، قال سُبحانه وتعالى:

{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}، [النجم: ٣٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: (**"الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ"**)، رواه مسلم.(١)

- **الحثُّ على الإخلاصِ وملازمة المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، والتحذيرُ من الرياء:**

٣٨- وَكُنْ مُخْلِصًا للهِ وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا ... وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ

الشرح:

---

(١) (م) ١٦- (٢٣٣).





ففي هذه الأعمال والطاعات التي تقوم بها يحضُّك ويحثُّك الناظم على الإخلاصِ في تلك الأعمالِ التي تتقرّبُ بها إلى الله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، [الكهف: ١١٠].

لم يقل: (يعمل عملا ولا يشرك)، وإنما قال: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}، والصلاحُ هو في الاتباع، أن تأخذَ العبادة من منبعها؛ من رسول الله ﷺ، {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}؛ هذا لترك الرياء، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}، [الزمر: ٢، ٣]، إنه الإخلاص في العبادة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: ١١]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}، [الزمر: ١٤].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، =في تحريم الرياء والتحذير منه=، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ")، رواه البخاري ومسلم واللفظ له.(١)

(١) (م) ٤٧- (٢٩٨٦)، ونحوه (خ) (٦٤٩٩).





"من سمَّع"؛ يريد أنْ يسمِّعَ الناسَ عن أفعاله التي كانت خفيَّةً عنهم، ويريد أنْ يسمعَ هو شكرَ الناسِ ومدحَهم له.

"مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ"، هذا في الرؤية؛ يفعل أشياءَ حتى يراه الناس، فيراءي الله به، وهذا والعياذ بالله أخذَ أجرَه وانتهى، وعليه العقوبة، فالذي يريده وصله ورآه، رآه الناس وسمعوه فانتهى أجرُه، وثبت وزرُه.

هذا الذي يريده من عبادته، وفيه الحث على **متابعة** النبي ﷺ في العبادات، كما قال سبحانه وتعالى:

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، [آل عمران: ٣١].

وأيضا في المتابعة قال سبحانه وتعالى:

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، [الأعراف: ١٥٨]، وهذا فيه أمر بمتابعة النبي ﷺ، فعَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:



("**أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ**")، رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما.(١)

- **عبادة التوكُّل على الله، وأنها من التوحيد:**

٣٩- تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمٰنِ حَقًّا وَثِقْ بِهِ ... لِيَكْفِيكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ

الشرح:

توكل على الرحمن، اللهم اجعلنا من عبادك المتوكلين، ونريد حقَّ التوكل؛ أي: فليكن التوكل على الله ﷻ، ويكون التوكلُّ متحقِّقًا في قلبك دائما، ففوض جميعَ أمورك إلى الله، وافعل ما عليك فعله وتوكل على الله، والنتيجة، قال: تُكفَى همومُك، وتُقضَى حاجاتُك، وتُسَيَّر شئُونُك، قال ﷻ:

{**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**}، [آل عمران: ١٢٢]، قال ﷻ:

{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**}، [الأنفال: ٢]، قال ﷻ:

---

(١) (ت) (٢٦٦٤)، (جه) (١٢).



{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، [التوبة: ٥١].

والتوكل أيضا لو قرن بالتقوى كان أمره عظيماً، قال ﷻ:

{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، [الطلاق: ٢، ٣]، وقال ﷺ في الذين يدخلون الجنة بلا حساب:

(«هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»)، رواه البخاري ومسلم.(١)

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا")، رواه الترمذي وابن ماجه.(٢)

***

- **الصبرُ من الإيمان:**

٤٠- تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ ... وَصَابِرْ عَلَى الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ

---

(١) (خ) (٥٧٥٢)، (م) ٣٧٤- (٢٢٠).

(٢) (ت) (٢٣٤٤)، (جة) (٤١٦٤)، صَحِيح الْجَامِع: (٥٢٥٤)، الصَّحِيحَة: (٣١٠).





الشرح:

فالصبر أنواع: صبر عن المعاصي، **وصبر** على الطاعات، **وصبرٌ** لحكمه على المصائب والمكروهات، فمن صبر وصابر فاز بالسعادة في الدارين، ففي **الصبر عن المعاصي** جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه؛ (إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ عليه السلام)، فَقَالَ:

(«مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»)، متفق عليه.(١)

وكذلك الصبر **لحُكْمِه على المكروهات**، والأقدارِ المؤلمة، والمصائبِ الموجعة، كما قال سبحانه وتعالى:

{وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

---

(١) (خ) (١٤٦٩)، (م) ١٢٤- (١٠٥٣).



الْمُهْتَدُونَ}، [البقرة: ١٥٥- ١٥٧]، وأكثر من آية تحثُّ على الصبر عند المصائب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}، [الطور: ٤٨، ٤٩]، فالمؤمن مأمور بالصبر والمصابرة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، [آل عمران: ٢٠٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا}، =في الحروب والنزاعات=، **{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**، [الأنفال: ٤٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ* إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}، [النحل: ١٢٧، ١٢٨].

والصبر على الطاعات والعبادات، كما الله تبارك وتعالى:

{فَاعْبُدْهُ} =بعد هذه الكلمة؛ لم يقلْ: واصبرْ بل أكبر من ذلك، قال:= **{وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}**، [مريم: ٦٥]، لأنّ العبادةَ ليست لحظةً وانتهى؛ بل عندك عبادة مستمرةٌ ليلا ونهارا، هو **التوحيد**، لا ينبغي أن



تنفك عنك لحظة، وعبادةُ **ذكرُ الله** عَزَّوَجَلَّ في كل ساعات النهار والليل، وعبادة **الصلاة** خمس مرات في اليوم والليلة، غير التطوعات، ثم عبادات سنوية **كالزكاة والصيام**، أو عبادات في **العمر مرة كالحج** ونحوها، فلذلك هذه العبادة تحتاج إلى أمر فوق الصبر، إلى اصطبار.

فالصبر بأنواعه؛ إذا وفِّق العبدُ له فاز بالسعادة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، [الشورى: ٤٣].

والصبر من الإيمان: فَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**"أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: الصَّبْرُ، وَالسَّمَاحَةُ"**)، رواه البيهقي في الشعب، وأحمد وأبو يعلى.(١)

وَعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ**). رواه البيهقي في الشُّعَب والحاكم، والطبراني في الكبير.(٢)

***

- **عبادة الخوف والرجاء** من الله جَلَّ جَلَالُهُ:

٤١- وَكُنْ سَائِرًا بَيْنَ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَا ... هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ حِينَ تَقْصِدُ

---

(١) (هب) (١٠٣٤٤)، (حم) (١٩٤٥٤)، (يع) (١٨٥٤)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (١٠٩٧)، الصَّحِيحَة: (١٤٩٥).

(٢) (هب) (٤٨)، (ك) (٣٦٦٦)، (طب) (ج٩ ص١٠٤ ح٨٥٤٤)، وصححه الحافظ في الفتح (١/ ٤٨)، والألباني في صَحِيح التَّرْغِيبِ: (٣٣٩٧).



الشرح:

هنا فيه الحثُّ على التزام التوازي بين الخوف من الله، الرجاء فيما عنده، فلا يغلب أحدهما على الآخر، فهما **كجناحي الطائر**؛ لأنّ الطائرَ لا يطيرُ إلا بجناحين، فلو غلّبت أحدهما على الآخر؟ تخيَّلْ أنّ جناحًا أثقل من الآخر، أو أطولَ من الآخر، لا يطير، فلذلك تحتاج إلى التوازن، فمن غلَّب الخوف قنَط ويئِس، ومن غلَّب الرجاء تهاون وقصّر في العبادة، وتقاعس عن الطاعة.

ففاقد الرجاء فيما عند الله مصيره الخلود في النيران، قال سبحانه وتعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ* أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**}، [يونس: ٧، ٨].

أما عن المؤمنين الراجين ما عنده، فقد قال سبحانه وتعالى: {**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**}، [الكهف: ١١٠]، وقال سبحانه وتعالى:

{**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**}، [الأحزاب: ٢١].

والخوف والخشية من صفات المؤمنين، قال ﷻ: {**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**}، [الرعد: ٢١]، وقال ﷻ: {**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}، [النحل: ٥٠].

وقال في وصف المؤمنين: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**}، [الإسراء: ٥٧].

فهذه الأصنامُ التي تُعبدُ من دونِ الله ﷻ، هي أقربُ من المشركين إلى الله ﷻ، هم يعبدونها وهي تتبرَّأُ منهم، كذلك المشايخ والأنبياء والصالحين والملائكة الذين يُعبدون من دون الله، يتبرؤون من عبادة هؤلاء، قال ﷻ: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**}، =الأنبياء والملائكة والصالحين= {**أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**}، لذلك هؤلاء في شأن، وأولئك في شأن آخر.

والرجاء فيه حسن الظن بالله ﷻ، فعَنْ جابرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: ("**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**")، رواه مسلم.(١)

---

(١) (م) ٨١- (٢٨٧٧).

قال ابن القيم $:

[**الرجاءُ**؛ حادٍ يحدُو القلوب إلى بلاد المحبوب؛ وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير.

وقيل: هو الاستبشارُ بجودِ وفضلِ الربِّ تباركَ وتعالى، والارتياحُ لمطالعةِ كَرَمِه ﷻ].(١)

الجلسة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، **وعلى آله** وصحبه ومن والاه، **واهتدى** بهداه إلى يوم الدين، **أما بعد**:

نكمل ما توقفنا عنده، وهو البيت الثاني والأربعون، في الكلام عن القلوبِ وإخلاصِها ونقائها وصفائها، وقد نطيل الكلام عن القلوب شيئا؛ لأننا نحتاج إليه.

- **إخلاص القلوب**:

٤٢- وَقَلْبَكَ طَهِّرْهُ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ ... وَكُنْ أَبَدًا عَنْ عَيْبِهِ تَتَفَقَّدُ

الشرح:

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦).

تفقّدْ قلبك بين الحين والحين، فتفقّدْه هل هو على الطاعة؟ أو على المعصية؟ وطهّره من عيوبه، والعيوب في القلب كثيرة منها؛ **الفظاظة والغلظة**، وهي التي نبّه الله ﷻ نبيَّه ﵇ منها، قال ﷻ:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}، =فماذا يفعل النبي ﷺ؟ وكأن الرسول يسأل، قال:=

{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}، [آل عمران: ١٥٩]، إذن؛ طهر قلبك من **الغلظة والجفاء** على إخوانك المسلمين، وذلك بالعفو عن غلطاتهم، والتغافل عن سهواتهم، واستغفرْ اللهَ لهم عن سيئاتهم؛ بلْ وشاورهم فيما فيه منفعة عامّة أو خاصّة.

وهذا كلُّه حتى لا تكون أنت بين المسلمين سببا التفرقة والاختلاف، ومتسبِّبًا في التشتت والتشرذُم والتفرق، الذي أرهق الأمة.

كذلك القلوب **المريضة بالنفاق**، والمرض نوعان؛ مرض **شهوة**، ومرض **شبهة**، وقال ﷻ في أمراض **الشبهة** التي قام بها المنافقون والعياذ بالله، قال=:

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}، [البقرة: ١٠]، وقلوب المنافقين لا تطهر إلا بالتوبة، قال ﷻ عنهم:



{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، [المائدة: ٤١].

ومن أمراض القلوب القسوة، والقلوب **القاسية** قال عنها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}، [البقرة: ٧٤]، وكذلك الذين ينقضون المواثيق قلوبهم قاسية، قال عنهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}، [المائدة: ١٣]،

والعياذ بالله هذه الآيات ذكرت في اليهود والمنافقين.

أما القلوب **الزائغة** وهي المريضة بالزيغ، فقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}، [آل عمران: ٧]،

وأمر المؤمنين أن يقتدوا في دعائهم بهذا النداء القرآني، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: ٨]

وهناك القلوب التي **حال الله بينها وبين أصحابها**، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:





{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}، [الأنفال: ٢٤]، فإياكم أن تردّوا أمر الله أوّلَ ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، ويقلِّب القلوب حيث يشاء، ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلِّبَ القلوب ثبت قلبي على دينك،(١) يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.(٢)

وقلوب عيبها **الشهوات**، قال ﷻ:

{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}، [الأحزاب: ٣٢]، هذا **مرض الشهوة**، وهو المقصود في هذه الآية، مرضُ الشهوة تجاه النساء، ولعلاج هذا المرض، ولضعف الإنسان [عَنِ احْتِمَالِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ، وَأَنَّهُ ﷻ خَفَّفَ عَنْهُ أَمْرَهَا؛ بِمَا أَبَاحَهُ لَهُ مِنْ أَطَايِبِ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، ...].(٣)

---

(١) (ت) (٢١٤٠)، (حم) (١٣٦٩٦).

(٢) رواه مسلم بلفظ: **"اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"**، (م) ١٧- (٢٦٥٤)، انظر تفسير السعدي أو تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٨).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٥٠).





وتطهير القلب كذلك من مرض **التكبر والجبروت**، وتطهيره بالتواضع والخشوع، قال ﷻ:

{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}، [غافر: ٣٥]، قلوب ما فيها إلاّ التكبُّر والتجبُّر قلوب مريضة.

كذلك لا بد من تطهير القلب من **مرض الهوى**، قال ﷻ:

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}، [الجاثية: ٢٣].

وهناك مرض **الغفلة**، وتطهيره **باليقظة**، قال ﷻ:

{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}، [الكهف: ٢٨]، وهذا المرض منتشر الآن، وهو كثير جدًّا، يكون مستيقظا، أمام الجوال، وأمام المشاهد، ويغفل عن ذكرِ الله، هذا القلب في **غفلة** عن ذكر الله، وفي يقظة إلى غير ذكر الله.

فلا بدّ من **طهارةِ القلب ونظافتِه** وسلامته، قال ﷻ عن إبراهيم عليه السلام:

{وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، [الشعراء: ٨٧- ٨٩].





وهناك قلوبٌ **مختومٌ عليها**، والعياذ بالله، قال ﷻ:

{**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**}، [البقرة: ٧]، وقال ﷻ:

{**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ**}، [الأنعام: ٤٦].

وهناك قلوبٌ **مطبوعٌ عليها**، قال ﷻ:

{**وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**}، [الأعراف: ١٠٠]، وقال ﷻ:

{**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**}، [الأعراف: ١٠١].

والعياذ بالله، هناك قلوبٌ **لا تفقه**، نسأل الله السلامة، قال ﷻ:

{**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا**}، [الأعراف: ١٧٩].

وهناك قلوب دائما **مرعوبة**، أُلقِيَ فيها الخوفُ والرُّعبُ والفزع، قال ﷻ:

{**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**}، [الأنفال: ١٢].

أما القلوب الطاهرةُ النظيفة، فهي القلوب **السليمة** من هذه الأمراض، قال ﷻ:

{**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**}، [الشعراء: ٨٩]. قال ﷻ:





{**إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**}، [الصافات: ٨٤]، نظيف طاهر من هذه الأشياء.

ومن القلوب الطيبة المطلوبة القلوب **المنيبة**، قال ﷻ:

{**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**}، [ق: ٣٣].

وهناك القلوب **المهدية**، وهي التي هداها الله قال ﷻ:

{**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}، [التغابن: ١١].

وهناك القلوب المؤمنةُ **الوَجِلَةُ** الخائفة من الله، قال ﷻ:

{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**}، [الأنفال: ٢].

وهناك القلوب **المتآلفةُ المعتصمةُ** بالكتاب والسنة، نسأل الله أن نكون منهم، **فالقلوب المؤمنة تتآلف**، قال ﷻ:

{**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**}،

[آل عمران: ١٠٣]، والتأليف بين قلوب المؤمنين بتوفيق من الله جل جلاله، قال ﷻ:



﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾، [الأنفال: ٦٣].

وهناك القلوب **الممحَّصةُ المبتلاةُ الممتحَنة**، قال ﷻ:

﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]

وهناك قلوبٌ **ربطَ اللهُ عليها ليثبّتَها**، قال ﷻ:

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، [الأنفال: ١١].

وهناك القلوب **المطمئنة**، وهي ما قاله ﷻ في حقِّها:

﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾، [آل عمران: ١٢٦]، ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**﴾، [الأنفال: ١٠].

وَعَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: (لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا بَعَدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ؟) فَقِيلَ لَهُ: (وَمَا سَمِعْتَ؟!) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:



(**"لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا"**)، رواه أحمد وابن أبي عاصم في السنة.[1]

وهذا ما استطعت جمْعَه في شأنِ القلوب، ونحنُ أحوجُ ما نكونُ إلى إصلاحِ القلوبِ قبل إصلاحِ الأعضاء والأركان، فيحتاج القلب إلى:

- **النصيحة دائماً، والنصيحة تكون من العبد المؤمن لأخيه لا الفضيحة:**

٤٣- وَجَمِّلْ بِنُصْحِ الْخَلْقِ قَلْبَكَ إِنَّهُ   لَأَعْلَى جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأَجْوَدُ

الشرح:

وفي هذا البيت يحثُّ على تجميلِ القلب، ولهذا قال: وجمِّلْ وحسِّنْ وزيِّنْ قلبك بنصيحة الخلق ودعوتهم إلى الله ﷻ، وهدايتهم وإرشادهم، أو جمِّلْ قلبك بقبول النصيحة ممن ينصحك لإصلاح قلبك وتطهيره.

فجمِّل قلبك واجتهد في تحسينه لتصل به لأعلى جمالِ للقلوب وأجودها وأحسنها وأفضلها وأسلمها.

---

(١) (حم) (٢٣٨١٦)، (صم) (٢٢٦)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، وانظر صَحِيح الْجَامِع: (٥١٤٧)، والصَّحِيحَة: (١٧٧٢).





وتحسينُ القلب؛ بنصيحةِ الناسِ حتى تصلَ بقلبك إلى أفضل جمالٍ وأجودِ طهارة، فهذه رسالة الأنبياء؛ التبليغُ والدعوة والنصيحة، وقد قال نُوحٌ عليه السلام:

{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، [الأعراف: ٦٢]، وقال:

{وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، [هود: ٣٤]، وقال صَالِحٌ عليه السلام:

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}، [الأعراف: ٧٩]. وقال شعيب عليه السلام:

{قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ}، [الأعراف: ٩٣].

واحذر من **النصائحِ الكاذبة**، التي ملْؤُها الغِشُّ والخِدَاعُ، فهناك من ينصحُك وهو لا يريدُ لك النصيحة، لكن يريدك أنْ تبتعدَ عن الطريقِ الصحيح، فهذه النصائح الكاذبة من الشيطان وجنوده؛ من الجنِّ والإنس، ولو حلفوا بصدق النصيحة، لا تصدقهم، قال الله عز وجل عن الشيطان عند إغوائه لأبينا آدمَ وأمِّنا حوَّاءَ ﭼ:





{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ* فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}، [الأعراف: ٢١، ٢٢].

وذكر القرآنُ إخوةَ يوسف السَّلِيْلاِ وكذبهم على أبيهم بادِّعائهم النصيحة لأخيهم:

{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ}، [يوسف: ١١]، فأحيانا لا تُقبَلُ النصيحةُ إلاّ مِن أهلها.

ثم بدأ الناظم $ بالأبيات التي بعدها، وفيها الكلام عن الصحبة، وعن الرفقة وأنْ يتخذ الإنسان له الزميلَ الذي فيه الصفات الطيبة.

***

- **صاحبْ الصديقَ الذي يصدُقَكَ القولَ والفِعْلَ:**

٤٤- وَصَاحِبْ إِذَا صَاحَبْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ يَقُودُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ

الشرح:

وينصحُ الناظم $ هنا من يخاطبه؛ بأن يصاحبَ الإنسانَ الطيّبَ الأخلاق، الحَسَنَ السِّيْرَة، والمخلصَ السريرة، الموفَّقَ للخير، يرشد إليه، وينصح به.

وخيرُ الأصحاب **لصاحبه على الإطلاق صحبة النبي ﷺ لأبي بكر الصديق** رضي الله عنه؛ إذ قال الله عز وجل في كتابه مؤكِّداً ذلك:



{**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**}، [التوبة: ٤٠]، **ثمَّ صحبةُ** الصحابة **رضي الله عنهم**، للرسول ﷺ و **رضي الله عنهم**.

ثم تأتي **صحبة** الوالدين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**}، [لقمان: ١٥]، وهذا ما حثّ عليه النبيُّ ﷺ، فقد ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ **صَحَابَتِي؟!**) =من أحقُّ الناس أن أصاحبهم بإحسان؟= قَالَ:

(«**أُمُّكَ**»)، قَالَ: (ثُمَّ مَنْ؟) قَالَ: («**ثُمَّ أُمُّكَ**»)، قَالَ: (ثُمَّ مَنْ؟) قَالَ: («**ثُمَّ أُمُّكَ**»)، قَالَ: (ثُمَّ مَنْ؟) قَالَ: («**ثُمَّ أَبُوكَ**»)، رواه الشيخان.(١) وهناك روايات كثيرة في هذا الباب.

وصحبةُ الأخوة، فعندما دخل على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أخوه بنيامينُ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

---

(١) (خ) (٥٩٧١)، (م) ١- (٢٥٤٨).

{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، [يوسف: ٦٩]. وقال ﷻ في الأخوَّة عن موسى عليه السلام:

{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ}، [طه: ٤٠]، وقال ﷻ لموسى عليه السلام:

{اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي}، [طه: ٤٢]، وأخوه هو هارونُ عليه السلام، هذه الصحبةُ الطيِّبَةُ، والرفْقةُ التي تعامل في البيت العائلي والأسرة.

ثم صُحبة **الزوجة**، وهذه الصحبة ثبتت في كتاب الله ﷻ، وأنها تتلاشى يوم الحساب، في قوله:

{يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ}، [المعارج: ١١، ١٢]، فقد كانوا في الدنيا ما شاء الله، في تآلف وتحابب وتوافق، أمَّا في الآخرة يفرُّ بعضهم من بعض، وقال في آية أخرى:

{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}، [عبس: ٣٤-٣٦]، فالزوجة يطلق عليها كلمة صاحبة. وقال ﷻ في حقِّهنَّ:





{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩]،

كذلك صُحبة ورُفْقة **أخوةِ الإيمان** والإسلام والدين، قال ﷻ:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، [الحجرات: ١٠]، وقال ﷻ عن المشركين متى يكونوا معنا ونحبُّهم، ومتى يكونوا إخواننا:

{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، [التوبة: ١١]، وقال ﷻ عن المؤمنين جميعا:

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}، =أي: من بعد الصحابة **رضي الله عنهم**=، {يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، =فإخواننا الصحابة لا بد من الدعاء لهم، فحبهم من الإيمان=، {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، [الحشر: ١٠].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو **رضي الله عنهم** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:





("خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ؛ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ؛ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ")، رواه الترمذي وأحمد والبخاري في الأدب.[1] وخيرهم، أَيْ: أَكْثَرُهُمْ ثَوَابًا عِنْدَهُ.

***

- **الحَذَرُ من رُفْقَةِ السُّوء:**

٤٥- وَإِيَّاكَ وَالْمَرْءَ الَّذِي إِنْ صَحِبْتَهُ ... خَسِرْتَ خَسَارًا لَيْسَ فِيهِ تَرَدُّدُ

الشرح:

ويحذِّرُ الناظمُ من رفقةِ السوء، **والرفقةُ** السيئةُ، **فمنْ يرافقْ** رفقاءَ السوءِ يخسرْ خسارةً عظيمةً، ما بعدها خسارة، لا تردُّدَ ولا رجوع، **فالإنسانُ** الذي في صحبته الضلال والفساد والخسران، ما ينبغي أن تصاحبَه، قال ﷻ:

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ* وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ}، [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢]، أي: يمدونهم في الضلال والعياذ بالله، فهذه أخوَّةٌ ما فيها فائدة، فهي أخوة خسران.

---

(١) (ت) (١٩٤٤)، (حم) (٦٥٦٦)، (خد) (١١٥)، الصَّحِيحَة: (١٠٣)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (٢٥٦٨).





وأمّا **إخوانُ الشياطينِ** وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغَيِّ ذنبا بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطينُ لا تقصِّر عنهم بالإغواء؛ لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القياد لها؛ أي: الإنسان مع أخيه الإنسان، لكن والعياذ بالله هذا مفسد؛ لأنّ المطيعَ سلسٌ في طاعته لله، وهم لا يقصرون عن فعل الشر. تفسير السعدي.(١)

ورفقةُ السوء يصادقون عدوَّك، **ويتآمرون** عليك، قال ﷻ: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**}، [الحشر: ١١]. وقال ﷻ في قصةِ صالحٍ عليه السلام:

{**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ**}، [القمر: ٢٩]، صاحبهم؛ رفقاء السوء والعياذ بالله.

فمن صاحبَ رفيقًا سيئًا، لكن ما استمع إليه وما أطاعه في الدنيا، نجَّاه الله منه يوم القيامة، فيجلس مع أصحابه في الجنة، قال ﷻ:

{**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ**} =من أهل الجنة=: {**إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ**}، =وصاحب في الدنيا، كان= {**يَقُولُ: أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ**}، =أي: هل

---

(١) تفسير السعدي أو تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٣).



هناك في الآخرة جنةٌ ونعيمٌ، وما شابه؟= **{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ؟}** =أي: مرجعون إلى الله ومحاسبون؟= **{قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ؟}** =مطلعون من الجنة على النار؛ لِيَرَوا هذا القرين والصاحب=، **{فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ}**، =أي: في وسطها= **{قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}**، [الصافات: ٥١- ٥٧]، لذلك الإنسان الذي نجّاه الله من الرفقةِ السوء فقد فاز، أمّا الذي وقع، فيدخل في قول الرسول ﷺ، الذي ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ!") رواه أحمد والترمذي وأبو داود.(١)

(الْمَرْءُ)؛ [يَعْنِي الْإِنْسَانَ **(عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ)**؛ أَيْ: عَلَى عَادَةِ صَاحِبِهِ وَطَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ، **(فَلْيَنْظُرْ)**؛ أَيْ: يَتَأَمَّلْ وَيَتَدَبَّرْ **(مَنْ يُخَالِلُ)**، فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَلَهُ، وَمَنْ لَا؛ تَجَنَّبَهُ فَإِنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَةٌ]، عون المعبود (١٠/ ٣٥٣). (٢)

- **العفوُ من الأخلاق الحميدة:**

٤٦- خُذِ العَفْوَ مِنَ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ ... كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ

---

(١) (حم) (٨٤١٧)، (ت) (٢٣٧٨)، (د) (٤٨٣٣)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٣٥٤٥)، الصَّحِيحَة: (٩٢٧).

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ١٢٣)

الشرح:

خذ العفوَ من أخلاقِ أصحابك، فالعفو من الأخلاق الحسنة، فإذا أخطأ صاحبك فاعفُ عنه، كما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأرشد في كتابه فقال:

﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾، [الأعراف: ١٩٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، [آل عمران: ١٠٤].(١) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

("**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**")، رواه مسلم.(٢) وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، ﴿**خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ**﴾، [الأعراف: ١٩٩]، قَالَ: «**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ**»، رواه البخاري.(٣)

---

(١) وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، [البقرة: ١٠٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾، [البقرة: ٢١٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [النور: ٢٢]، ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [التغابن: ١٤].

(٢) (م) ٦٩- (٢٥٨٨).

(٣) (خ) (٤٦٤٣).



- **الزهدُ في دارِ الدنيا الفانيةِ والتزوُّدُ للدّارِ الباقية:**

٤٧- تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إِقَامَةً وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ

الشرح:

يقول الناظم $: ترحّلْ عَنِ الدُّنْيَا؛ أي: اترك الدنيا، وارحلْ عنها قبلَ أن تموتَ، فلا تجعلْها همَّك، ازهد فيها فليست بدار إقامةٍ ووطنٍ ومقرّ، ولكنها دارُ تزوُّدٍ للآخرة وممرٍّ، قال ﷻ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: ١٠٢]. وقال ﷻ:

{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}، [البقرة: ١٩٧]، وقال ﷻ:



﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**،﴾ [الأعراف: ٢٦]، كلُّ هذه الآياتِ تحضُّ على التزوُّدِ بالتقوى في هذه الدنيا الفانية، التي ليس فيها من الخير إلا ما هو خير، لذلك قال الله ﷻ مبيِّنًا مجملَ ما في الدنيا من متاع وشهوات، قال ﷻ:

﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾، [آل عمران: ١٤]. فالدنيا في حقيقتها؛ كما قال الله:

﴿**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ =ينفق فيها عليها، ليس للآخرة، فمثَلُ= ﴿**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾، [آل عمران: ١١٧].

حرثُ قومٍ؛ أي: زروعُهم وأشجارُهم ونخيلهم، فأصابه هذه الريح التي فيها صرٌّ؛ أي: فيها حرارة شديدة، أو برودة شديدة، على كلا الحالين أهلكت هذا الزرع، نسأل الله السلامة، لكن؛ كما قال ﷻ:





{... وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}، [آل عمران: ١٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}، [النساء: ٧٧].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهم، قَالَ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي)، فَقَالَ:

(«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»، رواه البخاري.(١)

***

الاقتداء بالسلف الصالح:

٤٨- وَكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا ... إِلَى المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ

الشرح:

لذلك الأصل في أمور التوحيد والعبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق؛ أن تقتديَ بسلفِ الأُمَّة، أي: بمن سبق، تبدأ بالنبي ﷺ،

---

(١) (خ) (٦٤١٦).



والصحابة رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان رحمهم الله تعالى، ومن تبعهم إلى يوم الدين، ففي دنياك هذه كن سالكًا ومتبعًا منهجَ السلفِ الصالحِ الذين سبقونا بالإيمان، إلى المنزل الباقي والدائم، ولا نفاد له، ولا نهاية، قال سبحانه وتعالى:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}، [الأنعام: ٩٠].

عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ؛ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ! فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!) قَالَ:

("أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ")، رواه الترمذي وقال: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). ورواه أبو داود وابن ماجه وأحمد.(١)

---

(١) (ت) (٢٦٧٦)، (د) (٤٦٠٧)، (جة) (٤٢)، (حم) (١٧١٤٢)، (حب) (٥)، الصحيحة: (٩٣٧) و (٣٠٠٧)، ظلال الجنة: (٢٦- ٣٤).

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﵁ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ، ...:

("النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ؛ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ؛ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي؛ أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ")، رواه مسلم.(١) فاتباع الصحابة **رضي الله عنهم**، واتباع تلاميذهم التابعين، وتلاميذ تلاميذهم من أتباع التابعين، واتباع سائر السلف الصالح رحمهم الله، هؤلاء الذين تقدموا وسبقوا، الذين يقصدهم الناظم بقوله: وَكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا.

***

- **ذكر الله ﷻ، في كل حال:**

٤٩-	وَكُنْ ذَاكِرًا للهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ	فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللهِ وَقْتٌ مُقَيَّدُ

الشرح:

هذه الأبيات والتي تليها -تقريبا عشرة أبيات- كلُّها في الحث على ذكر الله ﷻ، وذكرُ الله ليس له وقتٌ محدَّد؛ فهناك **ذكر مطلق** في أيِّ وقت وكلِّ حين، **وذكرٌ مقيد**، أدبارَ الصلوات، وذكر في الصلوات؛ من قراءةٍ من تسبيحٍ وما شابه ذلك، وذكرٌ في الحج والعمرة ونحو ذلك، هذه مقيَّدة.

---

(١) (م) ٢٠٧- (٢٥٣١).

أمَّا الأذكار المطلقة؛ فهي أوسع بكثير من المقيدة، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ)، رواه مسلم وغيره.(١) هذا ذكر مطلق.

فلنذكر الله كثيرا، ونسبحْهُ في كلِّ وقت، امتثالا لقوله ﷻ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}، [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. ولنكن ممن قال فيهم الله ﷻ:

{... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}، [الأحزاب: ٣٥]. والذكر على كل حال، كما قال ﷻ:

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا}؛ =أي: حال قيامهم، وأعمالهم التي تقتضي القيام=، **{وَقُعُودًا}**، =حال قعودهم في مجالسهم وما شابه ذلك، سواء مجلس طعام أو مجلس استئناس، بأسرة أو نحو ذلك=، **{وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}**، =عندما يريد أن ينام الإنسان يذكر الله ﷿، وليس معناها أن يبقى قائما قاعدا، وما شابه ذلك كما يفعله بعض الناس، هذا ليس الذكر المقصود، وإنما الذكر في حالات هذا الإنسان=، **{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) (م) ١١٧- (٣٧٣)، (ت) (٣٣٨٤)، (د) (١٨)، (جة) (٣٠٢).

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، [آل عمران: ١٩١].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ [وَأَرْضَاهَا] عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ؛ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟!") قَالُوا: (بَلَى!) قَالَ:

("ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى")، رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد.(١)

- **الذكر قد يكون سِرًّا وقد يكون علانية، يجلب لصحبه الطمأنينة:**

٥٠- فَذِكْرُ إِلَهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا ... يُزِيلُ الشَّقَا وَالهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ

الشرح:

---

(١) (جة) (٣٧٩٠)، (ت) (٣٣٧٧)، (حم) (٢١٧٠٢)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح، صَحِيح الْجَامِع: (٢٦٢٩)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (١٤٩٣).



فذكْرُ الله ﷻ في السِّرِ والعلانية، يوفِّرُ الطمأنينةَ والهدوءِ ويورثُ السكينة، ويرفع التعبَ والغمّ، والشقاوةَ ويزيلَ الهمَ ويطرد النكد، قال ﷻ:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، [الرعد: ٢٨]. وقال ﷻ:

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا}، [الحج: ٤٠]. وقال ﷻ:

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}، [النور: ٣٦]، هذه كلُّها أذكار عامة مطلقة تنتقي منها ما تشاء، وفي أي وقت تشاء.

- **ذكر الله فيه الخير الكثير دنيا وأخرى:**

٥١- وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجِلًا ... وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشَرِّدُ

الشرح:

فبذكر الله تُنالُ الخيرات، وتزدادُ الحسناتُ، وتُرفَع الدرجات، في أعلى الجنات، وبالذكرِ يُطردُ الشيطان الوسواس الخناس، كما في سورة الناس:



﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ* إِلَهِ النَّاسِ* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، [الناس: ١-٦]، سُمِّيَ خنّاساً؛ لأنه يخنس ويختفي عند ذكر الله، فإذا وقعت الغفلةُ التقم القلبَ، نسأل الله السلامة، قال ﷻ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، [الأعراف: ٢٠١]، وقال ﷻ:

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، [فصلت: ٣٦]، وقال ﷻ:

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾، [الزخرف: ٣٦]، يغرق في الغفلة، ويصبحُ عنده عَشىً، والعشَى معناه؛ عدمُ الرؤيةِ في الليل، أو في الظلام أو نحو ذلك، فكأنه يحدثُ له بُعدٌ عن ذكرِ اللهِ ﷷ، قال ﷻ:

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، [المجادلة: ١٩].

***

- **السابقون هم الذاكرون اللهَ كثيرًا والذاكرات:**



٥٢- فَقَدْ أَخْبَرَ المُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ

الشرح:

لذلك الذين يكثرون من ذكر الله يقال لهم: **المفرِّدون**، كما قال في هذا البيت: فقد أخبر المختار ﷺ يوما لصحبه بأن كثير الذكر في السبق مفرد، ويقصد الناظم به حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ)، فَقَالَ:

(**"سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ"**)،(١) قَالُوا: (وَمَا الْمُفَرِّدُونَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟!) قَالَ:

(**"الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ"**)، رواه مسلم.(٢)

---

(١) **جمدان**: هو جبل بين ينبع والعيص، على ليلة من المدينة، وهو بضم الجيم، ثم سكون الميم. مراصد الاطلاع (١/ ٣٤٥).

و[**المفردون** بفتح الفاء وكسر الراء المشددة]، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٧/ ٤)، [قَالَ ابْن قُتَيْبَة: **المفرِّدون**: الَّذين هلكَ أقرانُهم ولِداتهم، وطالت أعمارهم، فانفردوا لذكر الله عز وجل وعبادته. وَقَالَ الْأَزْهَرِي: هم المنقطعون عَن النَّاس لذكر الله عز وجل، فكأنهم أفردوا أنفسهم للذّكر. ... وَقَالَ غَيره: استولى عَلَيْهِم الذّكر فأفردهم عَن كل شَيْء إِلَّا عَن الله عز وجل، فهم يفردونه بِالذكر وَلَا يضمون إِلَيْهِ سواهُ.]. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ٥٨٨).

(٢) (م) ٤- (٢٦٧٦).



[(**جُمْدَانُ**): بِضَمِّ الجِيمِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَفِي آخِرِهِ نُونٌ، وَهُوَ مَعَ جَمَادِيَّتِهِ يَشْعُرُ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ، وَيَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِنْ أَرْبَابِ الْعِرْفَانِ، كَمَا وَرَدَ: «أَنَّ الْجَبَلَ يُنَادِي الْجَبَلَ بِاسْمِهِ، أَيْ: فُلَانُ؛ هَلْ مَرَّ بِكَ أَحَدٌ ذَكَرَ اللَّهَ؟! فَإِذَا قَالَ: نَعَمِ! اسْتَبْشَرَ»، الْحَدِيثَ.(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ] .(٢)

فمن صفات المنافقون ما قال الله فيهم: {**وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**}، [النساء: ١٤٢].

فالمغفرة والأجرُ العظيمُ للذاكرين الله كثيرا والذاكرات، كما قال الله: {**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**}، [الأحزاب: ٣٥].

***

- **الوصيةُ بالذكرِ والشكرِ والاستعانةِ بهما:**

٥٣- وَوَصَّى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ ... عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ

---

(١) (طب) (٨٥٤٢)، شعب الإيمان (٢/ ١٧٥) ح (٦٨٠). قال مجمع الزوائد (١٠/ ٧٩): [رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح]، وباقي الأثر: (قَالَ عَوْنٌ: فَيَسْمَعْنَ الشَّرَّ، وَلَا يَسْمَعْنَ الْخَيْرَ؟! هُنَّ لِلْخَيْرِ أَسْمَعُ. وَقَرَأَ: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا})، [مريم: ٨٨- ٩٢].

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ): (٤/ ١٥٤٠).





الشرح:

وأوصى النبيُّ ﷺ بالذكر، أوصى معاذًا رضي الله عنه؛ لنتعلم نحن منه، -ويشير الناظم في قوله ووصى معاذا- إلى قول مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: (أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)، فَقَالَ:

("**إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ**")، فَقُلْتُ: (وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

("**فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي**") ="**كل صلاة**"، وفي رواية:= ("**فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**"، رواه النسائي وأبو داود وأحمد.(١) وقد قال الله جل جلاله:

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}، [البقرة: ١٥٢]، وقال سبحانه وتعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، [البقرة: ١٧٢]، وقال سبحانه وتعالى:

{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}،

[النساء: ١٤٧]، وقال سبحانه وتعالى:

---

(١) (س) (١٣٠٣)، (د) (١٥٢٢)، (حم) (٢٢١١٩).



{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}، [إبراهيم: ٧]، وقال ﷻ:

{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}، [النمل: ٤٠].

فالشكر على النعم، **والشكر العام** حتى على الصحة والعافية، وانصرام النقم عن الإنسان؛ ثوابه عظيم عند الله ﷿، ومن حقوق المسلم على المسلم: (**"وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ"**)، كما رواه مسلم.(١)

***

- **النصيحة بذكر الله**، قال الناظم $:

٥٤- وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ ... وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ

بعضهم تختلط عليه الشرائع والأحكام، فالمسائل الفقهية كثيرة جدًا، فالنصيحة لمثله سهلة ميسورة.

---

(١) (م) ٥- (٢١٦٢).



- **رطِّب لسانَك بذكرِ الله:**

٥٥- بِأَنْ لَا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هٰذِهِ   تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ

الشرح:

فالدين النصيحة، كما روى تميمٌ الداري رضي الله عنه: "**الدين النصيحة**"،[١] فالنصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ (أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَرَادَ سَفَرًا، فقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْصِنِي)، قَالَ:

("**اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا**")، قَالَ: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ زِدْنِي)، قَالَ: ("**إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ**")، =لأنَّ الحسناتِ تمحو السيئاتِ=، قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي)، قَالَ:

---

(١) عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"، (م) ٩٥- (٥٥).





("اسْتَقِمْ وَلْيَحْسُنْ خُلُقُكَ")، رواه ابن حبان.(١)

فإذا جاءك إنسان يريد منك نصيحة، **فحاول** أن تنصحه بالمهم، والذي لا تكثر عليه، فالنصيحة القصيرة المفيدة المهمة؛ خير من نصيحة طويلة يُنسِي آخرُها أولَها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي)، قَالَ:

(**"عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ"**)، =عندما تصعد على مكان فيه صعود؛ فكبر الله عز وجل= (فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ)، قَالَ:

(**"اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ"**)، رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.(٢)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ؛ (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ)، قَالَ:

(**"لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"**)، رواه الترمذي.(٣)

---

(١) (حب) (٥٢٤)، الصحيحة (١٢٢٨).

(٢) (ت) (٣٤٤٥).

(٣) (ت) (٣٣٧٥).





- **الإكثار من ذكر الله ﷻ إكثارٌ من غِراسِ الجنةِ وأشجارها:**

٥٦- وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرْسٌ لِأَهْلِهِ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ وَالمَسَاكِنُ تُمْهَدُ

الشرح:

كلُّ إنسان مات على الإيمان والتوحيد، له بقعةُ أرضٍ في الجنة، سعتها اللهُ أعلم بعظمتها، وهي كما قال النبي ﷺ لا يوجد فيها شجر، وإنما المؤمن هو الذي يغرسُه بالذكر، لذلك جاء عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

("لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ") عليه السلام **("لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ")** =فنحن نقول: وعليك السلام يا خليل الله يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته=، **("وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ")**؛ =أي: خصبة= **("عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ")**، =يعني أرضٌ غيرُ محروثةٍ ولا مزروعة=، **("وَأَنَّ غِرَاسَهَا؛ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ")**، رواه الترمذي.[1]

أنا الآن موقن أنَّ لكلّ من قال هذه الكلمات، له بكل كلمة شجرة، وهذه وصية أبينا إبراهيم عليه السلام.

- **الله مع الذاكرين يسدِّدُهم ويوفِّقُهم**، فمن يذكر الله يكن اللهُ معه:

---

(١) (ت) (٣٤٦٢).





٥٧- وَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ وَمَعْهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ

الشرح:

وأخبر ﷺ أن الله مع عبده إذا ذكره، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

("يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً")، رواه البخاري.[1]

وفي الجنة تنقطِعُ جميعُ العبادات، ويُرفعُ التكليفُ إلاّ ذكرَ الله سبحانه وتعالى، فهناك؛ لا صلاة لا صيام، ولا زكاة ولا حجّ، هذه العبادات التي في الدنيا انتهت في الآخرة.

لكنْ! عبادةٌ واحدةٌ تبقى وهي **الذكر**، هذه تبقى الجنة فهل الذكر صعب؟ لا ليس فيه صعوبة، ما يحتاج وضوء، وما يحتاج إلى ركوع أو سجود، ولا يحتاج العبد في الجنة دفع زكوات أو صدقات، ولا صيام، ولا أن يذهب إلى مكة للحج أو العمرة، أو ما شابه ذلك، كل ذلك انتهى، ويبقى الذكر.

---

(١) (خ) (٧٤٠٥).



***

- **بقاء ذكر الله لأهل الجنة:**

٥٨- وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ ... وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخَلَّدُوا

الشرح:

ثبت عَنْ جَابِرٍ =بن عبد الله رضي الله عنه وعن أبيه=، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ:

(**"إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ"**)، قَالُوا: (فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟!) =ما دام الإنسان يأكل فأين يذهب الطعام؟ فلا بد له من إخراج=، قَالَ:

(**"جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ"**)، =الجشاء الصوت الذي يخرج من معدة الشبعان، والرشح؛ هو العرَق، لكنّ رائحتَه رائحةُ المسك=.

(**"يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ"**). =رواه مسلم، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه:=

(**"يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»**)، رواه البخاري ومسلم.[1]

---

(١) (خ) (٣٢٤٥)، (م) ١٧- (٢٨٣٤)، (م) ١٨- (٢٨٣٥).



تسبيحٌ مستمر لا انقطاع له، هناك لا يوجد ليلٌ ولا في نهار، وكلمةُ (بكرةً وعشيًّا) تفيد الاستمرار، فهناك ذكر مستمر من العبد كالنفس للحي في الدنيا.

***

- **ذكرُ اللهِ من أسبابِ محبةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعبده الذاكر:**

٥٩- وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ ... طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ

الشرح:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**} [البقرة: ١٥٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(**"يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي"**)، =هذه الجملة تدلُّ على معيَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعبد الذي يحبُّه، قال=: (**"فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي"**)، إنَّه يذكرك في نفسه إذا ذكرتَه في نفسك، (**"وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ"**)، أي: وإنْ ذكرتَه أمام الناس؛ في مجلسٍ، أو مجتمع، أو في ديوان، أو في خطبة، الله يذكرك في ملأٍ خيرٍ من



ملئك، (**"وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"**)، رواه البخاري.(١)

فذكر الله سبب في محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

***

- **حفظ اللسان من الغيبة والنميمة وغيرهما:**

٦٠- وَيَنْهَى الفَتَى عَنْ غِيبَةٍ وَنِيمَةٍ وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ

الشرح:

والغيبة؛ ذكرُكَ أخاك ما يكره في غيبته وإن كان فيه ما تقول، **والنميمة**؛ نقلُ الحديثِ بين المسلمين على جهةِ الإفساد، فإنْ ذكرتَ أخاك بما هو فيه فهذه **غيبة**؛ أمّا إن ذكرته بما ليس فيه فهذا هو **البهتان** والعياذ بالله.

أما لو ذكرته بعيبِه في وجهه أنت فيك كذا وكذا، فهذا **شتمٌ**، ففرق بين الشتم والغيبة والنميمة والبهتان، وكله ذكره أخاك بما يكره، إن كان في غيبته فهذه **غيبة**، وإن كان ليس فيه **فبهتان**، وإن كان في وجهه فهذا **شَتْمٌ** والعياذ بالله.

---

(١) (خ) (٧٤٠٥).





قَالَ ﷻ: {**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**}، =فشبه اللهُ **الغيبة** بأكلِ لحمِ الإنسانِ الميت، فقال=: {**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**}، لذلك جاء في عقوبة هؤلاء المغتابين ما ثبت عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(**"لَمَّا عُرِجَ بِي"**)؛ =أي: أثناء رحلة الإسراء والمعراج، قال=: (**"مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ"**)، =ليست أظفاراً من عظام؛ بل من نحاس= (**"يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ"**)، رواه أبو داود وأحمد.(١)

***

- **من ذَكرَ اللهَ كثيرا نالَ حظًّا عظيمًا:**

٦١- لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ   بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ نِعْمَ المُوَحِّدُ

الشرح:

قال الله ﷻ: {**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**}، [الأحزاب: ٢١]، فمن يذكر الله كثيرا هذا تأسّى بالنبيِّ ﷺ، ورجا اليوم الآخر، قال ﷻ:

---

(١) (د) (٤٨٧٨)، (حم) (١٣٣٦٤)، صحيح الجامع: (٥٢١٣)، والصحيحة: (٥٣٣)



{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا}، =أي: أثناء الحرب، قال:= {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، [الأنفال: ٤٥]، وقال ﷻ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}، [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال ﷻ بعد الانتهاء من صلاة الجمعة:

{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، [الجمعة: ١٠].

والجهلُ من أسبابِ قلَّةِ ذِكرِ اللهِ ﷻ، فلو يعلم الإنسان ما في ثوابِ الذكرِ وأمرِه العظيم، لوجدتَه يقبِلُ على ذكرِ الله كثيرًا، وأنا أضرب مثالا على ذلك:

لو قلنا لأحدهم: كلَّما قلت: (سبحان الله)، لنزلَ عليك دينارٌ، قل: (سبحان الله) وستبقى الدنانير تنزل عليك، هل سيَنْتَبِهُ لأحد؟! لا! سينشغل بذكرِ الله؛ لأنه يرى بعينه، الآن زال الجهل، وسيبقى يذكر: (سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله)، تنادي عليه زوجته، ينادي عليه أولاده، ينادي عليه أصحابه، لا يهتم، ولا ينتبه لهم لماذا؟ لأنه يريد المزيد من نتائج هذا الذكر.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا؛ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ"، وَ "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ")، الحديث بزوائده عند الترمذي وأحمد والطبراني في الأوسط، والبزار وابن حبان، والبيهقي في الشعب.(١)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("أَكْثِرُوا مِنْ غَرْسِ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّهُ عَذْبٌ مَاؤُهَا، طَيِّبٌ تُرَابُهَا، فَأَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِهَا؛ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ")، رواه الطبراني في الكبير، وفي الدعاء.(٢)

فأين هذا من غراسِ الجنة؟

أشجارٌ في الجنة سوقُها من ذهب، وثمارها ألينُ من الزُّبْدِ، وأحلى من العسل، وأشياء كثيرة جدًّا فيها.

---

(١) (ت) (٣٤٦٢)، (حم) (٢٣٥٥٢)، (طس) (٤١٧٠)، (بز) (١٩٩٢)، (حب) (٨٢١)، (هب) (٦٥٧)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٥١٥٢) الصَّحِيحَة: (١٠٥)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (١٥٥٠)، (١٥٨٣).

(٢) (طب) (ج١٢ ص٣٦٤ ح١٣٣٥٤)، (طب) في الدعاء: (١٦٥٨)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (١٢١٣).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالَ: (**"نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ، وَكَرَبُهَا"**)، =هي أُصُولُ السَّعَفِ الْغِلَاظِ الْعِرَاضِ، مادتُها= (**"ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا"**)، =السَّعَف: ورق النخل وجريدُه=؛ (**"كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ وَالدِّلَاءِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنْ الزُّبْدِ، لَيْسَ فِيهَا عَجَمٌ"**)، رواه الحاكم في مستدركه.(١)

(**لَيْسَ فِيهَا عَجَمٌ**)؛ أَيْ: ليس فيها نوى.

لو تخيَّلْتَ وأنتَ في مزرعتِك، وقلت: (سبحان الله) تخرج لك شجرة، لا نقول لك شجرة من ذهب؛ بل من أشجار الدنيا؛ نخلة مثلا أو حتى زرعًا، وتقول: (سبحان الله) وتجد الأشجار تخرج، هل ستسكت؟ والله ستبقى ليل نهار تذكر الله؛ إلاّ إذا تعبت.

أنت مع الله، وهذه أخبارٌ ستجدها أمامك يوم القيامة، إن شاء الله سبحانه وتعالى.

---

(١) (ك) (٣٧٧٦)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ: (٣٧٣٥).



- **فقِلَّةُ ذِكْرِ الله، من كثرةِ جهلِ عبادِ الله:**

٦٢- وَلَكِنَّنَا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ

الشرح:

فبعضُ الناس يقصِّرُ ويغفُل عن ذكرِ الله، فلا يذكره إلاَّ قليلا، ومنهم من لا يذكرهُ أصلاً، فهؤلاءِ والعياذ بالله الذين لا يذكرونَ الله أصلا، نسأل الله السلامة، قال الله في حقِّهم:

{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}، [المجادلة: ١٩]، أمَّا المنافقون، فهم الذين قال الله في شأنهم:

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}، [النساء: ١٤٢]، حتى المنافق يذكر الله لكن ليس من قلبه، يذكر الله ولكن قليل.



ومن أسبابِ قِلَّةِ ذِكرِ اللهِ؛ الانشغال بالدنيا، بالأموال والأولاد، ولذلك حذر الله المؤمنين فقال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}، [المنافقون: ٩]، تخيل! ساعاتٌ تمضي في غيرِ ذكرِ الله، هذه الساعاتُ فاتت عليهم، فحُرِموا أشجاراً في الجنة وما شابه ذلك، ساعاتٌ سيندم على فواتها الإنسانُ العاقل، قال ﷻ:

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}، [الأعراف: ١٠]، وقال ﷻ لآل داود: **{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}**، [سبأ: ١٣].

***

- **والتوفيق والفوز من الله ﷻ وليس من أحد:**

٦٣- وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفَوْزَ دَائِمًا ... فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ

الشرح:

قال ﷻ: **{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**، [التوبة: ٧٢]، وكما قال ﷻ:



{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}، [آل عمران: ١٨٥]، الزحزحةُ عن جهنم -والعياذ بالله- والنجاةُ من النار؛ هذا فوز عظيم.

لكنَّ العبدَ المؤمنَ يطمحُ لأكبرَ من ذلك، إذا سألتم الله فاسألوه أعالي الجنات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «... **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»، رواه البخاري.(١)

الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، لا تقلْ كما يقول بعض الناس: يكفيني متراِن في مترين في الجنة!! هذا الإنسان كذّاب؛ لأن المترين في الدنيا لا يرضاهما، لو عُرِضَت أمامَه ما يختار مترين في مترين؛ بل يختار مائتين في مائتين، فكيف بالجنة يقول: أنا أريد مترين في مترين؟!

فمن وضع له هدفًا صغيرًا إمّا يصلُه، وإمّا لا يصلُه أصلا، ومن وضع أمامه هدفًا كبيرًا إمَّا أن يصلَه أو يصلَ قريبا منه، فمن يضع في نفسه همَّةً أن يمشيَ ألفَ ميل، يمشي مائة ومائتين وثلاثمائة ميل، ولا يشعر بتعب، عندما

---

(١) (خ) (٧٤٢٣).





يقترب من النهاية يشعر بالتعب، أمّا مَن كُلِّفَ أن يمشيَ مائةَ ميلٍ فيمشي عشرة أو عشرين أو ثلاثين؛ ثلاثين ميلا ثم يتعب، ويشعر بالملل، فاجعل همَّتك أعلى من ذلك.

***

- **وخِتامُ الكلامِ بالصلاةِ والسلامِ على خير الأنام:**

٦٤- وَصَلِّ إِلٰهِي مَعْ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ عَلَى خَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرْشِدُ

الشرح:

فقد صلى الله عليه في كتابه، وصلت عليه الملائكة ﷺ، قال ﷻ:

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، [الأحزاب: ٥٦].

فالصلاةُ من الله على رسوله؛ أي: يُثني عليه اللهُ بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته ﷻ له.

والصلاة من الملائكة؛ أي: تُثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرَّعون.

والصلاة من العباد؛ الدعاء له بأن يثني الله عليه في الملأ الأعلى.





[**وَالْمَقْصُودُ** مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ =كما قال ابن كثير $=: أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ. ثُمَّ أَمَرَ ﷻ أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ =عليه= وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا]. تفسير ابن كثير.(1)

فالصلواتُ الطيباتُ والرحماتُ، **والسلاماتُ** والبركاتُ عليه؛ فهو خيرُ هادٍ، وخيرُ مرشدٍ؛ للخلق أجمعين، قال ﷻ:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا* وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}، (الأحزاب: ٤٥ – ٤٧).

***

- **والصلاةُ والسلامُ** أيضا **على الصحابةِ الكرامِ** رضي الله عنهم **تَبعًا:**

٦٥- وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا ... صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يَدُومُ وَيَخْلُدُ

الشرح:

---

(١) تفسير ابن كثير، تحقيق سلامة (٦/ ٤٥٧).



فالصلاة والسلام على الصحابة **رضي الله عنهم** لا تكون منفردةً؛ بل تكون تبعًا للصلاةِ على النبي ﷺ، أمّا هم، أي: **الصحابة؛** فيفرَدون بالترضِّي عنهم، ومن بعدهم من **السلف الصالح؛** يفردون بأن يُترحَّمَ عليهم.

فكما أنك تقول عند ذكر **رسولِ الله** ﷺ، وتقول عند ذكر **الصحابة رضي الله عنهم**، أما عند ذكر **السلف الصالح** وهم من عاش في الثلاثة القرون الأولى، ومن بعدهم من **العلماء والدعاة** تقول: رحمهم الله، قال سبحانه وتعالى:

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، [التوبة: ١٠٠]، وقال سبحانه وتعالى:

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}، [الفتح: ١٨].

[وَ =**لذلك**= قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ =كما ذكره ابن كثير في تفسيره=: لَا يَجُوزُ إِفْرَادُ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ بِالصَّلَاةِ؛ =تقول: صلى الله على فلان!= لِأَنَّ هَذَا قَدْ صَارَ شِعَارًا، =أي: الصلاة= لِلْأَنْبِيَاءِ إِذَا ذُكِرُوا، فَلَا يَلْحَقُ بِهِمْ غَيْرُهُمْ، فَلَا يُقَالُ: "قَالَ أَبُو بَكْرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ".

أَوْ: "قَالَ عَلِيٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ".





وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى صَحِيحًا، كَمَا لَا يُقَالُ: "قَالَ مُحَمَّدٌ عَزَّ وَجَلَّ"، وَإِنْ كَانَ =محمد ﷺ= عَزِيزًا جَلِيلًا؛ =كلام صحيح لكن اللفظ ما ورد=؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ شِعَارِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَحَمَلُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُمْ؛ =ولهذا لم يثبت أن النبي ﷺ صلَّى على أحدٍ كما صلّى على أبي أوفى وغيرِه، فهذه ليست شعاراً لهم؛ بلْ هي خاصةٌ بالنبي ﷺ=، وَلِهَذَا لَمْ يَثْبُتْ شِعَارًا لِآلِ أَبِي أَوْفَى، وَلَا لِجَابِرٍ وَامْرَأَتِهِ. =عندما صلى عليهم النبي ﷺ، قال ابن كثير:= وَهَذَا مَسْلَكٌ حَسَنٌ]. تفسير ابن كثير، ت. سلامة (٦/ ٤٧٨).(١)

وبهذا نكون قد انتهينا من هذه المنظومة، **وقد بارك الله** في الوقت، **فكنت** أظنّ أننا سنقف عند نصفها، وإذا بنا نكملها في الوقت المناسب، **فنسأل الله** أن يعلِّمَنا ما جهلنا، **وأن يباركَ** لنا فيما علَّمنا، **وأن يزيدَنا** عِلمًا.

بارك الله فيكم يا من حضرتم، **وبارك الله فيمن شاهد ذلك** عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والفسبكة وما شابه ذلك، **وبارك الله** فيمن سيستمع فيما بعد، **ونسأل الله** أن ينفعَنا بذلك، في الدنيا والآخرة، **وأن يكتبَ ذلك**

---

(١) تفسير ابن كثير، ت. سلامة (٦/ ٤٧٨).





لنا في كتابنا في عليين إن شاء الله، **وأن يجعلَ** هذه الأعمالَ تثقل موازيننا، وتثقل حسنات موازين الحسنات يوم القيامة إن شاء الله ﷻ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

والله تعالى أعلى وأعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مسجد الزعفران- المغازي- الوسطى- غزة- فلسطين حررها الله.

قبيل ظهر الاثنين، ١٠/ ربيع الآخر/ ١٤٤٣هـ، وفق: ١٥/ ١١/ ٢٠٢١م.

- **أسئلة اللقاء:**

سؤال: ماذا تنصحنا في مسألة حفظ أبنائنا للقرآن الكريم عند جمعيات تحفيظ القرآن التي في المساجد، وفي المحفظين من ينتمي للأحزاب؟

الجواب: القرآن قرآن، لا تستطيع الأحزاب أن تغير في القرآن حرفاً، ما يستطيعون، فقد قال ﷻ: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**، [الحجر: ٩].

فلذلك على قدر الحفظ للقرآن ما في مانع إن شاء الله، أمّا الذي أُحذِّرُ منه فه حضورُ مجالسُ خاصة فيها التنظير لهذا التنظيم أو ذاك، أو ما شابه ذلك؛ لأن التنظيم هذا بذاته، لا يدلّ على أنه هو الإسلام فقط، الإسلام





أوسع من ذلك بكثير، وإنما هو جزء من الإسلام، رأى رؤيا معينة، فعلى قدر حفظ القرآن الكريم لا مانع إن شاء الله؛ لأن فيهم من نبغ في ذلك، وعنده علم التجويد، وعنده علم قراءات، وهو منضم لذلك الحزب أو ذاك التنظيم أو ما شابه ذلك، فالأخذ منهم مثل هذا يذكرني بفعل النبي ﷺ عندما سَلَّمَ بعضَ أسرى بدرٍ عشرةً من أطفال الصحابة يعلِّمونهم اللغةَ، والقراءة والكتابة، على قدر هذا الأمر جائز.

والله تعالى أعلى وأعلم

سؤال: بسبب الشتم والسباب على المملكة العربية السعودية عبر وسائل التواصل من الجانب الفلسطيني، هل من كلمة للمملكة العربية السعودية حرسها الله؟

الجواب:

أولا: سواء المملكة العربية السعودية أو مصر أو المغرب أو كل دول العرب، أو حتى الكفار والكافرين ما ينبغي السب والشتم، هذا أول شيء، وأن السب والشتم لا يأتي لنا بخير، واحد يسب ويشتم ليلا ونهارا ما ينبغي هذا، ومرة قلت كلمة: ما الرأي؟ نسب ونشتم على الكفار أو نسأل الله لهم





الهداية؟ إذا سببناهم أو شتمنا هم أم إذا دعونا الله أو يهديهم، ويقدموا لنا الخير، أي أمر تريد من الله أن يحقق لنا؟

الجواب: الثانية والله أحسن، أن يهديهم الله ويسدد خطاهم، ويكونوا على الخير، ويقدموا للأمة الخير، أفضل من أن تكون الفتن والقلاقل التي نراها الآن في العالم، فلذلك حكاية السب والشتم من بعض الأفراد، وليس من الفلسطينيين، بعض الأفراد هذا عن جهالة.

فهؤلاء أناس لا يعلمون الحقيقة، حقيقة الخير، وإنما أعميت بصائرهم في أمور معينة، فينظرون إلى بلدان أخرى أنها أفضل من بلاد العرب والمسلمين، من بلاد غير العرب، يظنون أن فيها الخير وأفضل، وهذا خطأ كبير جدا، وعبر التاريخ اقرأ وانظر ماذا قدم غير العرب حتى لو تسمى بالإسلام ماذا قدم للإسلام والمسلمين؟!

فالسب والشتم لا يجوز أصلا؛ حتى البهائم لا يجوز سبها ولا شتمها، فهذا **بعيرٌ** يلعَنُه صاحبُه أثناء سفر مع النبي ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("**مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟!**") قَالَ: (أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ!) قَالَ:





("انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ")، رواه مسلم.(١)

أو ناقةٌ تلعنها صاحبتها، فيأمر بتسريحها وتركها وعدم الانتفاع بها، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ)، فَقَالَ: **("خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ")**، قَالَ عِمْرَانُ: (فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَد). رواه مسلم.(٢) **(انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ)**، **(خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ)**، فلذلك لا ينبغي للمؤمن أن يكون طعَّانًا ولا لعَّانًا ولا فاحِشًا ولا بذيئًا.

ونهيبُ بجهود المملكة العربية السعودية العامة؛ لأن السؤال جاء عليها، وبجهودِ الدول العربية عمومًا، وإن كانت أمورُ السياسة اليوم تقتضي العمل بالسياسة، وهم يعملون بالسياسة، الدول والمسئولين يعملون بالسياسة، وهم أعلم منا بالسياسة، ولذلك بدل أن تذهب الديار والبلاد

---

(١) (م) (٣٠٠٩).

(٢) (م) ٨٠- (٢٥٩٥).



والعباد، ربما تذهب بعض الأموال وبعض الأشياء التي أمام الناس، وتكون في نظرهم أنها عظيمة، وأنها مهمة وما شابه ذلك، هذا لا ينبغي أن يسبّ وأن يشتم من أجل هذا.

لكن لو رأينا ظلما، أو مخالفة لكتاب الله أو رسوله من حاكم، أو عالم هذا ندعو له بالهداية.

فإن استطعنا الوصول إليه وصلنا إليه ونصحناه، أو تكلمنا معه، وإلا ندعو له بالهداية والتوفيق، **ونقول**: اللهم احفظهم واحفظ بلاد المسلمين عامة والعباد، وارزقهم البطانة الصالحة التي تأمرهم بالخير وتحضهم عليه، واصرف عنهم بطانة السوء التي تأمرهم بالشر وتحضهم عليه، واجعل عملهم كله في رضاك يا رب العالمين، دعاء للمملكة خاصة ولأمة العرب والمسلمين عامة، ونسأل الله وهذا الدعاء قد تستغربون منه نسأل الله أن يرفع الوبا والبلا عن العالم كافة المسلمين وغير المسلمين؛ لأن هذا وباء وهذا ضرر يقع على الناس جميعا، ويصلنا منه ما وصلنا الآن.

فالدعاء عموما لكل من يحتاج إلى دعاء ولو غير مسلم، لكن الرحمة نخص المسلم، **فنقول**: اللهم اغفر وارحم المسلمين والمسلمات، والمؤمنين

والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين، اللهم آمين.

والله تعالى أعلى وأعلم

سؤال: ما انتشر أخيرا الكلام على العلماء وهو قديما وحديثا، يا ليت كلمة توجيهية في ذلك، خصوصا أن من العلماء من يشار لهم بالبنان؟ وبارك الله فيكم.

الجواب: نحن نقول: إن الطعن والكلام في العلماء الآن انتشر عبر وسائل الإعلام أيضا، وفي محطات خاصة نصرانية أو علمانية، أو ما شابه ذلك، تسب وتشتم، ولا تريد صحيح البخاري ولا صحيح مسلم، ولا تريد عالما من العلماء أن يَرفعَ رأسه، أو تكونَ له كلمة تسمع، أو نحو ذلك، فنهيب بالجميع؛ أن لا يُستمع لمثل هذه الأصوات النابحة، وتلك الأصوات الناهقة، ضد أهل العلم، وضد الدعاة، وضد المسلمين عموما. **والله تعالى أعلى وأعلم.**

سؤال: قال ﷻ: **{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا}**، (الزخرف: ٣٦)، الآن هل الله ﷻ هو الذي يقيّض هذا الشيطان ويرسله، أم يحفظ الله ﷻ ويرفعه عن هذا العبد؟

الجواب: هو إذا قيض له شيطانا يكون قد رفع عن هذا العبد حفظَه لأن العبد فعله، فأعمال الله ﷻ كلها لحكمةٍ، فقيض له شيطانا لأنه رفع عنه حفظه، **فالشيطان** يقيَّض ليس على حرية الشيطان، وإنما هو بإرادة الله ﷻ؛ **لأن الله** يضل من يشاء ويهدي من يشاء، **وهذا** يكون في القدر، **والإنسان** عليه أن يسأل الله ﷻ الهداية والتوفيق، بعد أن يكون قد مشى وسار في هداية الإرشاد، وهداية الإرشاد؛ أي: يطلب من العلماء أن يرشدوه، يقرأَ في كتاب، يتعلم يكون عالما، يسأل سؤالا، ثم بعد ذلك يسأل الله أن يوفقه لهذا الأمر.

ولذلك الدعاء نوعٌ من القدر، فهذا الإنسان يقيه الله هذا الشيطان، ويحفظه منه، لأسباب هو فعلها هذا الإنسان، ويقيض له ويرفع عنه حفظه لأسباب فعلها هو، فهي ترجع إلى فعل العبد وإرادة الله الكونية. **والله تعالى أعلى وأعلم.**